رواية

الموسوسة

من سلسلة أساطير

محمد الناصر

الطبعة الثانية

نوفا بلس للنشر والتوزيع
NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTING

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الممسُوسَة

(من سلسلة أساطير)

محمد الناصر

عن الكتاب..

انفكت الأغلال التي تكبلت بها طوال الفترة الماضية، وبدأت المهمة، أن الزمان زمانك، والوقت وقتك، وكلنا في خدمتك، جميلة بحاجتك الآن بشكل كبير، جشمان يفرض سيطرته، ويرفض الخضوع، والذي لا يخضع لك سيدي، مصيره الهلاك، انهض، انهض بسرعة، لفرض هيبتك على جشمان المتمرد.

الأيام المقبلة يعلو صيتك بين الناس، وستكون وجهة لحل مشاكلهم، سترتاح القلوب لم، ستنفك العقد على يديك، سيخافك الدجالون، وستزداد المهام، الشيخ عزام مهد لك الدروب بشكل جيد.. قبل يومين كنت في الغسق، واليوم أنت في النور

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أكرهُ المقدمات

وأعلم جيداً أنكم مثلي تكرهونها

لندخل إلى القصة مباشرة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هل تؤمنون بالصدف؟ أعتقد بعضكم يؤمن والآخر لا.
أنا نفسي لا أؤمن بالصدف، ولكن الصدف هي ما تؤمن بي
ودائماً ما تأتي إليَّ راغبة؛ لتشكِّل معي حكاية غريبة جداً
أدعى (عدنان خالد)
وأنتم على شفا حفرة من المفاجآت

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

بسبب تلك الدعوة التي حضرتها وكسرت كل تقاليد وحدتي، بدأت الحكاية، واستبيحت حياتي الخاصة، وأصبحتُ بينَ ليلة وضحاها تحت الأنظار ومطلوب لدى الجميع. لو يعود بي الزمن إلى الوراء قليلاً، لما قبلتُ تلك الدعوة، ولبقيتُ سعيداً أتغزَّل بوحدتي الجميلة كل يوم.

لم أرَ هذا الرجل منذ ثلاثِ سنوات تقريباً، وعندما صادفته أول مرة بعد هذا الانقطاع، قام بدعوتي إلى العشاء، بحجة لمّ شمل أصدقاء الطفولة. كنتُ معارضاً في البداية، وحاولت بشتى الطرق التملص من دعوته. الغريب أنّ اللعين كان عنيداً ومصراً بشكل غير اعتيادي على مجيئي، وحضور تلك المناسبة التي اخترعها من تلقاء نفسه بحجة أنّهُ مشتاق لي وللأصحاب، علماً بأنني كنت أيام الشباب لا أختلط بهم كثيراً، وكل ما في الموضوع أنني تشاركتُ ببعض الأمور البسيطة معهم.

قررتُ بيني وبين نفسي بمجرد أن أنتهي من هذه الدعوة، أن أعطي رقم هاتفه خاصية الحظر، وأبتعد عن مضايقاته وفضوله العنيد، حتى يتسنّى لي العيش بسلام من دون مضايقة أحد، فأنا على هذا الحال منذ طلاقي من زوجتي (شريفة) قبل خمس سنوات، أعيش مع والدتي وحدنا في هذا البيت الكبير. خروجي مقتصر على الذهاب للعمل صباحاً، وبعدها أعود وأمارس هواية الوحدة، فأنا منذ طفولتي أكرهُ فكرة تكوين صداقات، خاصة بعد حوادث التنمر التي كانت تحصل معي أيام الدراسة بسبب وضع النظارة الطبية، وإطلاق تلك الألقاب العديدة على شكلها الذي لا يتناسب مع وجهي، الأمر الذي شكّل لي عقدة بسبب تلك (العوينات)، والتي كانت عائقاً أمامي في بناء علاقات جيدة، فكانت علاقاتي مهددة بالفشل.

كانت مقرّ الدعوة منطقة (كبد)، وهي منطقة مشهورة لدنيا في الكويت، مخصصة لتربية الماشية، إذ تقوم الدولة بإعطاء مساحات كبيرة لكل من يمتلك الماشية، من أجل تدعيم فكرة الأمن الغذائي، وقام مالكو هذه الأراضي بتغيير تلك الفكرة، وجعل هذه المساحات أماكن مخصصة للترفيه، أو استراحات خاصة يقومون بتأجيرها للناس لقضاء إجازات نهاية الأسبوع أو لإحياء بعض المناسبات. وبعضهم الآخر حولوها إلى ديوانيات خاصة لهم ولأصدقائهم، وها أنا الآن ذاهب بسيارتي إلى ذلك المكان البعيد متوجهاً بكل ضيق وحزن إلى ذلك (الجاخور) حتى ألطخ تلك الوحدة بالنفاق الاجتماعي البغيض.

وصلتُ بعد معاناة طويلة بسبب عدم معرفتي بالطريق الذي يوصلني إلى الجاخورِ، لأن أغلِب المباني والشوارع غير المرصوفة متشابهة، ما أن دخلتُ

حتى رأيت عدداً من الأصحاب القدامى الذين زاملتُهم خلال فترة الدراسة الجامعية. الكل بدؤوا بالمعاتبة الكاذبة، يشعروننني أنهم يهيمون بي حباً، ولم تغفُ أعينهم منَ الاشتياق لي، والكل بدؤوا يمارسون ذلك النفاق الذي ذكرته لكم. كقولهم مثلاً:

- لك وحشه، وينك يالقاطع، يا أخي أنت إنسان حبيب، شوفتك تردّ الروح

لم أستطع مجاراتهم في ذلك النفاق المُتعب لي، وكنت فقط أقول لهم بكل صراحة:

- مرتاح بحياتي حين لا أرى وجوهكم!!!

كانوا يظنّون أنّها مجرد مزحة أقولها لهم، لا يعلمون أنّها الحقيقة، أنا لا أرتاح لمثل هذه الأماكن، ولا أجامل على حساب وحدتي التي أعشقها.

مرَّ الوقت ثقيلاً عليّ، كنتُ أحسب الدقائق والساعات حتى أغادر هذا المكان، وأنتظر سماع صوت ذلك الشخص لدعوتنا إلى تلك الوليمة. كنتُ أفكر في البقاء لبعض الوقت بعد تناولي العشاء، ومن ثم استأذن من صاحب المكان للعودة إلى منزلي.

وما أن سمعت صوت ذلك الصديق وهو يقول: "تفضلوا إلى عشاكم"، حتى أدركت أنّ فترة اعتقالي في هذا المكان قد شارفت على نهايتها، إلا أنّه وقع شيءٌ قلبَ الأمور كلها رأساً على عقب، وكما قلتُ لكم: لقد استبيحت وحدتي منذ تلك اللحظة.

أثناء تناولي الطعام مع الأصدقاء، وكنّا نتجاذب بعض الأحاديث السخيفة فيما بيننا، سمعنا صوتاً قادماً من الخارج. عندها دخلَ علينا جار صديقي في المنطقة وهو يردد تلك العبارة بصوت متوتر وبعينين يملؤهما الخوف..

- هل بينكم طبيب؟ أو أحد يفهم في أمور التمريض؟

بقيَ الجميع صامتين، توقفت الثرثرة مع المضغ، ظل الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض. قطع فترة الصمت البسيطة صاحب المكان هو يقول:

- ما الذي حصل يا جار؟، هل تعاني من شيء ما؟

أكمل الجار حديثه على نفس الوتيرة وقال:

- في الخارج توجد امرأة ملطخة بالدماء، ويبدو أنّها مصابة، أو أنّها تعرضت إلى حادث ما.

ازدادت حالة الصدمة لدى الجميع، وقام بعضهم تاركاً (السفرة) لمشاهدة تلك الفتاة التي يتحدث عنها ذلك الجار. ما هي إلا ثوانٍ حتى انفضَّ الجميع من

حاولي خارجين لمشاهدة تلك الفتاة المضرجة بالدماء.

بقيتُ وحدي أستشعر ذلك الهدوء، والمزعج أنَّ أصوات الأصدقاء من بعيد كانت تزداد. دفعني فضولي إلى الخروج معهم، لأشاهد منظراً لم أرهُ في حياتي!. بالفعل كانت هناك امرأة مرمية على الأرض، وجهها ويداها وبعض من ملابسها ملطخة بالدماء، شاحبة وعيناها تبدوان متعبتيْن جداً، شعرها مبعثر من كل جانب، ليست بالبدينة كثيراً، حنطية البشرة، كأنها للتو خرجت من معركة شرسة بسبب الحالة التي أراها فيها الآن.

كان المشهد بالنسبة لي مخيفاً جداً، فأنا غير معتاد على تلك المناظر. كنتُ أسمع أصوات البعض من حولي وهي تردد:

- ما تزال حية، أشعر بأنفاسها.

وذاك الثاني يقول:

- لا تقتربوا منها، حتى تأتي الشرطة.

وآخر يقول:

- من أين أتت هذه المرأة؟ هل أحدكم يعرفها؟

في هذه الأثناء كنتُ أتخطى تلك الجموع، وأقترب كثيراً من ذلك الشيء الممدد خارجاً، حتى تتسنّى لي الرؤية بوضوح أكثر. وما أن وصلتُ حتى التقت عيناي بعينيها مباشرة، وهنا كانت الصدمة!، شعرتُ بانتفاضتها بمجرد التقائي بها، ثم مدت يدها نحوي، وقالت بتعب شديد وبصوت مبحوح:

- أرجوك يا عدنان، أنقذني من الشيء الذي بداخلي.

نظر إليَّ الجميع باستغراب، حينها كنتُ أنا أعيش حالة من الذهول، وأقول: كيف عرفت هذه المجنونة اسمي؟

مرت ثوانٍ من الصدمة، وأنا أبتلع ريقي مذهولاً من كلام تلك المرأة. ونطقَ أحد الرجال الموجودين وقال لي مستفسراً:

- هل تعرفها؟

بقيتُ صامتاً لا أدري كيف أتكلم؟ أو أرد على سؤاله! أصبتُ بدوار في رأسي، لأتماسك قليلاً وأقول له بحزم:

- يبدو أنّها تمر في حالة هذيان، لا أعرف هذه المرأة بتاتاً.

لينطق أحد الأصدقاء ويقول متسائلاً:

- مادامت تعرف اسمك، فهي بالتأكيد تعرفك، وأنت تعرفها.

قلت له بغضب وارتباك:

- صدقني لا أعرفها، ولم يسبق لي أن تواصلت معها، فهذه هي المرة الأولى التي أشاهدها فيها خلال حياتي.

مرَّ الوقت بثقلٍ كبير، حاولتُ العودة إلى الداخل، ثم انتبهت وقلت لنفسي: إذا ذهبتُ من الممكن أن ألصق بنفسي تهمة معرفتها بي،لابد من التصرف بشكل طبيعي.

وبعد برهة من الزمن، نهضت المرأة وبدأت تدور بعينيها على وجوهنا، كأنّها تبحث عن شيء، وهي في حالة مزرية جداً، ثم قالت:

- لن أرتاح إلا بمساعدة عدنان، ما بداخلي يزداد قوة، أين ذهب؟ أرجوكم أخبروه بذلك.

وما أن انتهت من جملتها، حتى سقطت مرة أخرى على الأرض ودخلت في حالة غيبوبة. وطبعاً تعرفون ما الذي يجري في مثل هذه الحالات، الجميع بدؤوا بالتحديق فيَّ، بتلك النظرات المشكِّكة، وفي داخل أعينهم العديد من الأسئلة: هل هو كاذب ويُنكر معرفتها؟ وهل هو السبب فيما هي عليه؟ يريدون معرفة علاقتي بتلك الفتاة غريبة الأطوار.

وبدأتُ بالانسحاب بشكل تدريجي من المكان، ذاهباً بهدوء إلى سيارتي، وانطلقت مسرعاً نحو منزلي، حاملاً معي الخوف والرعب والتساؤلات، من أين عرفتني تلك الفتاة؟. وكيف عرفت اسمي؟ ولماذا تطلب مني المساعدة؟

وأثناء محاولة هروبي، كانت سيارات الشرطة قد وصلت ومعها سيارة الإسعاف إلى المكان، ليمتلئ قلبي الهادئ بضجيج الحياة المتعب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

كنتُ أسير متخطياً المركبات الموجودة حول المكان بصعوبة شديدة، أريد الفرار من كل شيء، خاصة أنّ اسمي هو الوحيد الذي ذكِرَ في المكان نفسه. فمَن تلك المرأة المريبة؟، وهذا يعني أنني أول الأشخاص الذين ستدور حولهم الشكوك.

ما هيَ إلا ثوانٍ حتى ظهر أحدهم، إنَّه يقف بشكل مباشر أمام سيارتي، ويمد إصبعهُ ناحيتي. رأيت إلى جانبه أحد أفراد الشرطة، والذي هو الآخر طلبَ مني التوقف.

كنتُ شديد التوتر والارتباك عندما أنزلت زجاج نافذة السيارة، لأتحدث مع الشرطي الذي كان يقف وينظر إليَّ بصرامة، ويطلب مني النزول.

والدَّارج في مثل هذه المواقف السؤال المعتاد:

- هل تعرف تلك المرأة الملطخة بالدماء؟

هذا كان سؤال الشرطي.

وإجابتي على سؤاله هي النفي كالعادة، لأنني بالفعل لا أعرفها إطلاقاً، إلا أنّ الشرطي طلب مني توضيح سبب مناداتها باسمي دون كل الحاضرين.

بقيتُ صامتاً أنظر ببلاهة ناحيته، أعرف أنَّ إجابتي لن تقدم ولن تؤخر، ولا أعلم ما سبب نطقها باسمي، ولن يكون الشرطي بهذه السذاجة حتى يصدق ردّي غير المدعم بالدلائل.

وبالفعل، لم أجد سوى هذا الرد

- لا أعرف لماذا نطقت باسمي دون كل الناس، أنا لا أعرفها، ولم يسبق لي أن التقيت بها.

وأثناء نقاشي غير المجدي مع الشرطي، سمعنا صوتاً ينادي من بين الجموع، يردد:

- لقد وجدتُها ممددة بهذه الطريقة

التفتنا جميعاً إلى ذلك الصوت، واقتربَ رجل أمن آخر من الرجل الذي كان يصرخ، وقال له

- هل تعرف هذه المرأة المصابة؟

ردَّ الرجل الذي بانت على وجهه معالم الذعر:

- نعم أعرفها، إنها جميلة، لقد قتلت زوجها منذ ساعات ولاذت بالفرار

بانت علامات الذهول على جميع الحضور، بينما الصدمة هي التي انسلت إلى جسدي كله، وقلت في نفسي:

- تقتل زوجها وملطخة بالدماء؟!. وتردِّد اسمي وتطلب مني المساعدة!، يا لحظيّ السعيد في أول ليلة أخرج فيها من وحدتي!، تستقبلني الدنيا بكل هذا الترحيب، وتقدم لي هدية على هيئة قاتلة، أي محظوظ أنا؟!

قام أحد المسعفين بالتقدم نحو المصابة، ثم بدأ بفحصها، وكان هناك عدد من الرجال الآخرين الذين صاروا يتوافدون إلى المكان، ومن بينهم امرأة أخرى ورجلان. والذي لفت انتباهي أنّ المرأة الثانية شقت صفوف الجميع، وانطلقت نحو تلك الملطخة بالدماء التي تدعى جميلة، محاولة الاعتداء عليها، وهي تردد تلك الجملة:

- لن أرتاح حتى أشفي غليلي منك، أيتها المجنونة.

كانت تصرخ وتبكي بشكل غريب جداً، وقام الرجل الثاني بدفعها بعيداً عن تلك المرأة. كان مشهداً مرعباً بالنسبة لي، أشعر أنَّ الزمن قد توقفَ لبرهة، لينتابني ذلك الدوار المتعب الذي بدأ يجول برأسي.

لم أكن أعرف أنَّ الوضع سيكون بهذا السوء الفاضح. كنتُ واقفاً كطير مبلل، خائف، مرتبك، لا يعرف ماذا يفعل؟!، قليل الحيلة والتدبير. بدأت الفوضى تعمّ المكان، خاصة بعد خروج عدد كبير من الناس الذين كانوا موجودين في الجواخير القريبة. طبعاً أصبح اسمي أشهر من نار على علم، الوحيد الذي نطقت به تلك الملعونة.

أصبح كل شيء في عينيَّ ضبابياً يميل إلى السواد. شعور ما بعد الصدمة صار يتغلغل في داخلي من كل ناحية. قبل ساعات كنت أرقص الزومبا مع وحدتي، والآن تتربص بي أعين تلك الذئاب من كل مكان.

- بطاقتك الشخصية لو سمحت

هذا ما أيقظني من سباتي الحزين، صوت ذلك الشرطي

أعطيته بطاقتي بكل هدوء، فأنا على يقين أنني لم أفعل شيئاً

- هل يمكنُ أن تتفضل معي إلى سيارة الشرطة، حتى نكمل معك التحقيق؟

يا إلهي! عن أي تحقيق يتكلم؟

- لو سمحت لا أعرفُ هذه المرأة لا من قريب ولا من بعيد، أنا فقط مدعوٌّ إلى العشاء في هذا الجاخور، والكل يشهد أنني لم أخرج من المكان أبداً لأكثر

من ساعة.

ردَّ الشرطي بهدوء:

- أنت الوحيد الذي ذكر اسمك، ولابد من إكمال التحقيق معك؛ حتى نتأكد أنكَ بعيدٌ عن الموضوع. أنتَ تعرف أنّ القصة ليست لفتاة مصابة، بل على ما يبدو إنّها جريمة قتل، ونحتاج إلى كل الدلائل حتى لو كانت صغيرة.

أخذ الشرطي بطاقتي الشخصية، ومن ثمَّ مد يده ناحية كتفي يريد التوجه بي إلى سيارة الشرطة.

بدأت أعداد الناس تقل تدريجياً في المكان. كنتُ أراقبهم من خلف زجاج سيارة الأمن، وألف سيناريو مرعب يدور في رأسي، ما الذي سيحصل لي خلال الساعات المقبلة؟

أشاهد تلك المرأة الأخرى التي كانت تصرخ على جميلة، وهي تبكي بحرقة، يبدو أنّها تعرف الضحية. وكان أحد رجال الأمن يتواصل مع الرجل الآخر الذي جاء مع المرأة الثانية. كانت أنوار سيارة الشرطة هي الشيء الوحيد النابض بالحياة، محاولة إعطاء ألوانٍ لروحي التي أصبحت سوداء بشكل مفرط.

كان رجل الشرطة الذي يرافقني وقتها يخاطب شخصاً عبر جهاز اللاسلكي، وهو يقول:

- سنتوجَّه الآن إلى مكان الحادث..

وما أن انتهى، حتى قلت له برجاء:

- صدقني..لا تربطني مع هذه المجنونة أية صلة، ولا أدري لماذا ذكرت اسمي!

ردَّ عليَّ وهو يستعد للتحرك:

- كل ما في الأمر إجراءات روتينية حتى يثبت لنا أنكَ بريء، ولا تربطك أية صلة بتلك الأحداث.

ثم لزم الصمت، وانطلق إلى الموقع الذي تمّت فيه الجريمة.

كانت سيارات الشرطة تسير خلف بعضها بعضاً، فيما كانت هناك سيارة ثالثة تسير أمامها. وصلنا إلى المكان الذي لم يكن بعيداً كثيراً، وهو أيضاً أحد الجواخير التي تستخدم للنشاطات سالفة الذكر، وكان أحدها ما ستعرفونه بعد قليل.

ترجَّل الشرطي من سيارته، وكنت أرى بعضاً من زملائه الآخرين الذين لا أعلم من أين جاؤوا؟ وهم يقفون أمام باب أحد الجواخير. تقدَّمهم رجل وعلى

ما يبدو أنّه الشخص الذي كان مرافقاَ تلك المرأة التي كادت أن تتهجم على جميلة الملطخة بالدماء.

كانوا يتحدثون مع بعضهم بعضاً، قبل أن يفتح الباب رجلٌ يبدو على ملامحه الحزن، سامحاً لرجال الأمن بالدخول، وبقي البعض منهم خارجاً. شعور التوتر هو الشيء الذي ينتابني الآن، كنت أتمنى لو ينتهي هذا الأمر كله بسرعة حتى أعود إلى غرفتي التي دائماً ما أشعر فيها بالأمان. هناك أماكن حميمية تحتويك أكثر من البشر.

ليخرج اثنان من رجال الشرطة، كان أحدهما في حالة غثيان شديدة، وهو يحاول الاستفراغ. أعتقد أنّه شاهد شيئاً مريباً في الداخل. فيما توجّه الآخر نحوي، ثم فتح باب السيارة وقال وعلى وجهه ملامح الاشمئزاز:

- أستاذ عدنان: هل تعرف هذا المكان؟ أو سبق لك أن جئت إلى هنا؟

قلتُ والعديد من علامات الاستفهام على وجهي:

- لا.. أبداً، أول مرة في حياتي أرى هذا المبنى، ولا أعرف عنه أيَّ شيء.

هزَّ الشرطي رأسه وهو يحاول العودة إلى حالته الطبيعية. حينها خرج زميله الآخر وكان أهدأ من السابقين، ثم نادى عليه، والذي بدوره ذهب نحوه وتحدثا قليلاً، ليُناديانى بعد ذلك.

تقدمتُ نحوهما بخطوات مرتبكة شارد الذهن، كنت أكثر خوفاً مما كنت عليه وأنا داخل مركبة الأمن، حتى قال لي الشرطي الذي يبدو أنّه أعلى رتبه من سابقيه:

- أريد أن أريكَ شيئاً داخل هذا الجاخور لعله ينعش ذاكرتك، كل ما أريده منك هو التركيز، ومن ثم نكمل إجراءات التحقيق.

لم أنطق بشيء وقتها، وسرت ناحية الباب الخارجي بشكل تلقائي كأنّ شيئاً يوجهني، ثم دخلتُ لأجد بعض بقع الدماء المتناثرة في المكان كله: على الأرض وعلى الأبواب بأشكال وبأحجام مختلفة. سبقني الشرطي، ثم دخلت خلفه لنفاجأ بأمر لم أتوقع أن أراه في حياتي، من هوله وقعتُ على الأرض!

وقع بصري على جثة رجل ممزق، لولا هيئته البشرية لما عرفتُ أنّه إنسان، بسبب كثرة الدماء التي أحاطت به من كل جانب،ناهيك عن الرائحة الكريهة التي ملأت المكان. إنّها رائحة الموت بلا شك. كان مرمياً على أحد الكراسي الموجودة، وكان يرتدي ثوباً أبيض، بدا نحيلَ الجسد، هذه الملامح الأولية التي ظهرت أمامي.

قال لي الشرطي الذي كان يحاول التماسك:

- حاولْ التعرف على تلك الجثة

نظرتُ إليه بعينين مذعورتين، وقلت:

- لا أعرف أحداً في هذا المكان، أرجوكم دعوني أخرج.

وكنتُ وقتها أحاول أن أتماسك. همس شيء في أذني، لم أتيقن من ذلك الهمس، شيء ساخن مرَّ بجانبي، لا أدري ما هو؟ وفي البداية كنتُ أعتقد أنني من هول ما أرى أشعر بتلك الأوهام، أو هي تداعيات الصدمة التي أراها أمامي. إنني أقتربُ من كشف أشياء متعبة مريبة لم أتوقع في يوم من حياتي أن أشاهدها! كان وجه الضحية شبه مشوّه، كأنّه للتو تعارك مع أحد الضواري، غير أنَّ عينيهِ مفقوءتان، كأنَّ أحدهم قد اقتلعهما من محجريها، عدا عن تلك الجروح العميقة على رقبته، فقد برزت أشلاؤه من الداخل. منظر مريب ومرعب! كنت مصدوماً، بدأ الدوار يغزو رأسي، ثم لم أجد نفسي إلا وأنا جالس في غرفة أخرى، بجانبي عدد من أفراد الشرطة، ورجل ملتحٍ وعلى ما يبدو أنّه رجل دين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

كان منظر الساعة المعلقة على الحائط أول شيء لمحته عيني قبل مشاهدة الباقين، وكانت تشير إلى الثانية عشرة بعد منتصف الليل، وبجانبي أحد أفراد الشرطة، ويبدو أنّه الأكبر رتبة. فيما كان الاثنان الباقيان يقفان وهما يدونان بعض الأمور..

أثناء ذلك دخل رجل آخر، نعم إنّه الرجل الذي أتى مع المرأة التي أرادت التهجم على جميلة، ثم قال للشرطة بصوت هادئ:

- لا أعرف هذا الرجل الذي بجانبك.

طبعاً هو يقصدني أنا.

رد عليه رجل الشرطة، وقال..

- عندما وجدنا جميلة وحولها عدد من الناس، ذكر لنا أحدهم أنّها ذكرت اسمه، وطلبت منه المساعدة.

راح ذلك الرجل ينظر إليَّ كأنه يريد التأكد من أنّه لا يعرفني، وقال الشرطي للشيخ هادئ الملامح:

- ما الذي حصل بالضبط، يا شيخ سالم؟..

قال الشيخ:

- اتصل بي أحمد ليلة أمس

قاطعه الشرطي: من المقصود بأحمد؟

قال أحمد الذي كان يجلس بجانبي، (أحمد هو من كان مع المرأة التي كانت تريد التهجم على جميلة..)

- أنا يا حضرة الضابط

قال له مستفسراً..

- بصفتكَ مَن أنتَ موجودٌ معنا؟..

أجابه أحمد قائلاً:

- أنا زوج أخت منصور المقتول في الغرفة الأخرى

هزَّ الضابط رأسه، ثم نظر ناحية الشيخ الذي أكمل حديثه:

- اتصل بي ليلة البارحة أحمد، بحكم معرفة قديمة بهِ، وشرح لي حالة جميلة، وهي زوجة منصور، والتي كانت تعاني من أعراض مسّ أو تلبُّس كما شرحها لي، فطلبت منه الحضور الليلة حتى أقوم بعملي معها، ومعالجتها سواء بقراءة القرآن عليها، أو باتّباع طرق أخرى، حتى أستطيع معرفة نوع ذلك الشيء الذي يتلبّسها.

قاطعه الضابط مرة أخرى، ووجَّه سؤاله هذه المرة إلى أحمد:

- هل جميلة تعاني من شيء ما، كما ذكر الشيخ؟

أجابه أحمد وقال:

- نعم يا حضرة الضابط، تغيَّر حالها كثيراً منذ أربعة شهور مضت، وأصبحت في حالة غير طبيعية، وكانت تتصرف بشكل غريب، فتجدها تهلوس أحياناً، وتارة تضحك من دون مقدمات. كثيرة السرحان والشرود، دائماً ما تجلس في غرفتها لوحدها. وكنا دائماً نسمعها تتهامس مع شخص، وعندما ندخل عليها لا نجد معها أي أحد. وعندما نسألها مع من تتحدثين؟ تبدأ بالضحك وتنفي أنّها كانت تتكلم مع شخص ما. طبعاً هذا كله في بداية الأمر، كما ذكرتْ لي زوجتي سلوى.

إلى أن تطورت الحالة كثيراً، حتى صارت تتصرف بعنف أكثر. فمرة من المرات تهجَّمت على العاملة المنزلية من دون أي أسباب تذكر، بعد أن قامت بعضِّها في كتفها، حتى إنّها اقتطعت جزءاً من لحمها. غير أنّه كان كثيراً ما يجدها زوجها المقتول تنام في الحمام، وعندما يسألها عن سبب نومها في هذا المكان، كانت تقول أنّها لا تعلم لماذا تتصرف بهذه الطريقة؟، إضافة إلى تصرفات أخرى. وفي إحدى المرات ذكر لي المرحوم منصور أنّها كانت تتبول في غرفة المعيشة، غير مكترثة بوجودي.

وحكى لي منصور قصة أخرى غريبة جداً، قال إنّها في إحدى الليالي كانت تبكي بحرقة، وكانت تقول أنَّ هناك شيئاً يهمس في أذنها، يطلب منها خلع ملابسها، يقول إنّه لن يتخلى عنها، وغيرها من الأشياء. وأخبرني أيضاً أنَّ حالها قد تغير، تضحك بشكل هستيري وتدور في المكان بشكل سريع. تارة ترفع رأسها إلى الأعلى، وتارة تنظر إلى الأرض بشكل غريب ومخيف في نفس الوقت، كأنّها ترى شيئاً! وفي الحقيقة لا يوجد أي شيء. واستمرت على هذا الحال أكثر من نصف ساعة، ثم بعد ذلك هدأت وقالت له: لماذا تنظر هكذا؟ أرجوك أنا متعبة أحتاج إلى النوم.

هذه تصرفاتها التي كانت تزداد غرابة يوماً بعد يوم، فطلبَ مني منصور قبل أسبوع أن أبحث عن رجل دين متمرس بمثل هذه الأمور، لأنّه متأكد أنّ زوجته

تعاني من مس شيطاني قد تلبّسها. وتوجّهنا إلى الشيخ سالم الذي يتمتع بسمعة مميزة في علاج هذه الأمور. والمصيبة أنَّ الأمر خرج عن السيطرة كثيراً كما تشاهد، ولم نتوقع أنَّ الأمر سيصل إلى ما هو عليه الآن.

نظر ضابط الشرطة إلى الشيخ سالم، وطلب منه شرح ما جرى بالتفصيل قبل مقتل منصور على يد زوجته؟

قال الشيخ وهو يحوقل:

- زارني بعد صلاة العشاء كلّ من أحمد ومنصور وجميلة وسلوى، طلبتُ من الضحية وزوجته الجلوس في المكان الذي وقعت فيه الأحداث كلها، وطلبت من سلوى وزوجها الانتظار خارجاً. بدأت علاجي من خلال ذكر بعض الآيات القرآنية الخاصة بمثل هذه الأمور، حتى أتأكد من نوعية ذاك الشيء الذي يتلبّس جميلة.

قاطعه الضابط قائلاً:

- كيف عرفت أنّ جميلة متلبسة من الجن؟

ردّ الشيخ:

- خبرتي كبيرة في هذا المجال، بسبب الحالات العديدة التي مرت عليّ، فالممسوسون من الجن، تظهر عليهم أعراض واضحة، ككثرة الشرود، الهدوء الزائد عن حده، والتوتر والقلق، وتقلب المزاج غير المبرر، ودائماً ما تجدهم يحبّون الوجود في الأماكن غير الطاهرة. وهذه الأعراض الأولى التي لاحظتها على ملامح جميلة، وحتى نتأكد أكثر من ذلك؛ نقوم بقراءة بعض الآيات التي تساعدنا على فهم الأمر بشكل أوضح.

وهو ما قمتُ بفعله بعد أن جلست معها هي وزوجها في هذه الغرفة. لم يمضِ وقت كثير حتى بدأت تتضح الأعراض الأخرى: النظر بحقد ناحيتي، أو الحركات الانفعالية غير المبررة، كهزّ الرأس أو الارتجاف الشديد، أو التفوه بكلام غير مفهوم. طبعاً هذا الأمر يقع في الحالات العادية، وفي بعض الأحيان تكون الحالات شديدة، وردة الفعل أعنف من ذلك.

صمت الشيخ قليلاً، وعلامات الأسى واضحة على وجهه. كان يقطع استرساله في الحديث بالحوقلة أحياناً أو بالاستغفار. كنت أنظر وأقول لنفسي: لماذا أنا وسط كل هذا الخراب؟، شيء غريب جداً...! في ليلة البارحة كنتَ مستمتعاً في فراشك، محتمياً بحيطان غرفتك، واليوم تعيش كل هذه البعثرة التي حتى الآن لا تدري لماذا أنت فيها؟.

قال الضابط للشيخ وهو في حالة اشمئزاز بسبب الرائحة الكريهة، والمنظر المريع:

- أكمل أرجوك، الوضع لا يتحمّل الإطالة.

هز الشيخ رأسه وقال:

- منذ اللحظة الأولى بالتحديد، وبسبب تلك الملامح الحادة، أيقنت أنني سأتعامل مع شيء غير عادي يسكن في هذه المرأة، علماً أنني كلما زدتُ تلاوة الآيات، أو قمت بتكرار أي آية، أرى تلك الانفعالات الشديدة على وجهها. لم أهتم كثيراً، خاصة أنني متمرس في مثل هذه الأشياء.

بدأت بالصراخ بصوت عالٍ جداً وهي تنظر ناحيتي، راحت تزداد شراسة وقوة. عيناها بدأتا تستعران غضباً من كل تصرفاتي، ومن الآيات التي أردّدها. بدأت بالوقوف ومد يدها تجاهي. لم أهتم بكل ذلك، وأكملت قراءتي.. استمرَّ الوضع لأكثر من نصف ساعة، لا أنكر أنَّ معالم التعب بدأت تظهر عليّ،لكنّي أكملت عملي لأنّني أدركت أنَّ الشيء الذي أتعامل معه غير عادي بتاتاً.

ثم حدث أمرٌ كنت أعرف أنني سأواجهه. وقفت جميلة ثم نظرت إليّ وابتسمت بمكر، وبدأت بخلع ملابسها، وبكشف جسدها. وهي حيلة يقوم بها بعض الجن من أجل إغواء الشيوخ أو المتعاملين مع هذه الأشياء، أو يريدون منهم التوقف عن العلاج. وأنا أعرف جيداً كيف أتعامل مع هذه الحيل، فقمتُ بعدم النظر إليها. تغيرت نبرة صوتها من أجل إغوائي.. كل هذا لم أكترث له، وبدأت أكرر بعض الآيات القرآنية حتى أروض ما بداخلها. الجنّي الملعون كان ماكراً ذكياً لا يستجيب لكل ما أفعل، وأنا متأكد أنّه منزعج كثيراً مما أقوم به.

صراخها عمَّ المكان كله بشكل هستيري، لأنَّ ما بها يتألم مما يسمع. ثم راحت تهز رأسها يميناً وشمالاً كاشفة شعرها، وبدأت بالدوران في الغرفة وبالقفز أحياناً. كنت على علم بكل تلك الحركات، وقفت أردد بعض الأدعية بتركيز عالٍ، فتحت قنينة الماء المقروء عليه التي كانت بجانبي، ثم قمت بالرش عليها، وبترديد بعض الآيات القرآنية المختصة بمثل هذه الأمور. ازدادت شراستها، ثم وقفتُ أمامها، أريد أن أبيّن لذلك الشيء الذي بداخلها أنني لا أهابه أبداً،بل نحن أقوى منه، وقمت بسؤاله:

- هل أنت مسلم أم كافر؟

كررتُ السؤال أكثر من مرة، لم أتوصل إلى أي استجابة. غيرت نوعية الأسئلة، وبدأت أستفسر عن اسمه، وماذا يريد من جميلة؟، من استحضره للدخول إلى جسدها؟ أم أنّه دخل بالصدفة؟ والعديد من الأسئلة المتخصصة بمثل هذه الظروف. الجنّي المعلون كان صامتاً لا يريد النطق. فقط يرسل لي

إشارات من خلال التحكم بجسد جميلة، سواء بالصراخ أو بالحركات غير العادية. لا أنكر أنني أجهدت كثيراً، خاصة أنَّ الأمر استمر لأكثر من ساعة، مددت يدي ناحية كوب الماء الذي بجانبي أريد أن استرد أنفاسي التي أنهكت بسبب كثرة القراءة والكلام، فسقط الكوب من يدي بحركة سريعة من ذلك الملعون بعد أن قامت جميلة بذلك، ثم التفتت ناحية زوجها، وهي تخاطبه بنبرة صوت غير صوتها، حيث كانت النبرة خشنة ورديئة لتقول له:

- ألم أحذرك بعدم الذهاب إلى هذا المكان؟

نظرت إلى عيني زوجها منصور الذي انتابه الذعر من نبرة الصوت التي سمعها من زوجته، والتي كانت غير معتادة أبداً منها!

قال وهو يحاول معرفة ما الذي يجري:

- يا شيخ، ما هذا الصوت الذي خرج من داخل زوجتي؟

قلت له محاولاً تهدئته:

- لا يجب طرح أي سؤال أبداً، دع الأمر لي.

اقتربت جميلة من زوجها بوجه غاضب مادة يديها، وبحركة سريعة ومباغته أطبقت على رقبته وراحت تخنقه، هممتُ واقفاً أريد إنقاذ الموقف، محاولاً سحب يديها عن رقبته.. كنت متوقعاً أننا سنقوم بإيقافها، لأتفاجأ بالقوة الكبيرة التي تملّكت جميلة، فلن يستطيع حتى عشرة رجال إيقافها، خاصة بعد أن دفعتني لأرتطم بكل قوة بالجدار.. أصابني دوار كبير في رأسي من شدة قوة الارتطام.

كنتُ أنظر لما حلّ بمنصور، وهي تخنقه وتردد بصوت ذلك الشيء الذي بداخلها:

- لن تفلت مني هذه المرة، سأجعلك عبرة للجميع، لا أنت ولا شيخك تستطيعان إيقافي. بعد ذلك رأيت جميلة تقوم بعضّ رقبته، كانت تنهشه نهشاً غير آبهة بصراخه. وبسبب تلك الجلبة دخل أحمد إلى المكان، وفوجئ بما وقع، وتقدّم ناحية جميلة يريد إبعادها عن جسد زوجها، والدماء تتفجر من رقبته. وكما حدث لي حدث لأحمد الذي دُفع بكل قوة ناحية إحدى الكراسي، وسقط وهو يتألم من شدة الاصطدام.

في هذه الأثناء لم نسمع صراخ منصور، هدأ الصوت إلا من تلك الحركة التي تقوم بها جميلة، بعد أن مدت يدها ناحية عينيه، لتقوم بِفَقْئهما وبإخراجهما من محجريهما، ثم تركته وراحت تصرخ بصوت ذلك الشيء الذي يتملكها وهي تردد:

- لن تستطيعوا إيقافي، لقد استحوذت على روحها، لقد استحوذت على جسدها.

كان جسد جميلة ملطخاً بالدماء من كل جانب، الوضع لا يصدق!، هذه المرة الأولى التي أتعامل بها مع هذا النوع من المس!

تقدمت جميلة ناحية الباب، ثم هربت وهي تجري، تاركتنا مع جثة زوجها منصور، التي وجدتموها بهذه الحالة..

عمَّ الصمت المكان. كنت غير مصدق لما أسمع!، معقول ما يقوله هذا الشيخ؟، إنّ هذه الأشياء لا نراها إلا في الأفلام.

قال الشيخ سالم، يريد تأكيد حديثه:

- وإذا لم تصدقوا كلامي، لديكم هذه الكاميرات المثبتة في الغرفة، لكم الحق في مشاهدتها، فأنا وضعتها حتى أوثق الأحداث وأقوم بحماية نفسي من أي تهمة.

في هذه اللحظة، دخل أحد أفراد الشرطة وقال لرئيسه:

- خبراء الأدلة الجنائية قد وصلوا، ويريدون الآن معاينة موقع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

في قسم الشرطة، كنتُ أجلس على كرسي جلدي ضخم أسود اللون، وحولي حيطان رمادية باهتة، المكان مليء بالطاقة السلبية وبالبؤس، ولا توجد فيه أيٌّ من مقومات الحياة سوى تلك النافذة الخجولة التي من ورائها ينبعث الأمل.

دخل عليَّ أحد أفراد الشرطة، وعلى ما أظن أنّه ذو رتبة عسكرية عالية، بسبب الأوسمة العديدة التي تميز كتفيه، إضافة إلى الأناقة الكبيرة التي كان يتمتع بها، ابتسامة خفيفة لاحت على وجهه، ثم ألقى السلام وقال مباشرة:

- اسمح لي أن أقول لك: أنت في نظر العدالة متهم، وحتى هذه اللحظة لا توجد أي دلائل ضدك، كل ما في الأمر أنّ المتهمة جميلة قد ذكرت اسمك أمام الملأ، وهو ما جعلك داخل دائرة الشبهات.

قاطعته بعد أن بعثَ في نفسي الراحة، وقلت:

- صدقني لا أعرفها، ولم يسبق لي أن التقيت بها من قبل. حظّي البائس هو ما جلبني إلى هذا المكان، حتى أغوص في كل هذه التعقيدات.

قال الشرطي:

- كل هذا سيتضح من خلال التحقيق معك الآن.

وبالفعل بدأ بالتحقيق معي، وراح يمطرني بأسئلة عديدة أغلبها عن طبيعة يومي، ومكان عملي، وأين أقضي جل وقتي؟، وأين كنت ليلة البارحة؟، أو في فترة حدوث تلك الجريمة؟ ومع من قضيت يومي؟. وكنت أجيبه بكل ثقة من دون أي تردد.

وما أن انتهى من حديثه، حتى كانت الساعة تقاربُ الخامسة فجراً. كنتُ مرهقاً من جميع النواحي، سواء أكانت جسدية أم نفسية، وقلت له:

- هل سأبقى معكم طويلاً؟

أجاب الشرطي الأنيق قائلاً:

- ستخرج الآن بكفالة بسيطة، حتى نعرضك على النيابة خلال الأيام المقبلة، ونكمل التحقيق، ونتأكد أنكَ بعيد كل البعد عن هذه الجريمة.

وضعتُ يدي على رأسي بأسى، وقلت:

- كل هذا الذي ذكرته، وحتى الآن لم تتأكدوا أنني لا أعرف هذه المرأة؟، ولم يسبق لي أن التقيت بها؟

قال الشرطي محاولاً تخفيف توتري:

- كل ذلك إجراءات روتينية، مسألة وقت، ومن ثم تعود إلى حياتك الطبيعية. الشرطة دائماً تحتاج إلى حقائق قاطعة؛ حتى يتسنى لها الوصول إلى دلائل مادية ملموسة.

أثناء ذلك دخل شرطي آخر إلى الغرفة، وخاطبَ زميله قائلاً أنَّ جميلة أثناء التحقيق معها لم تكن متعاونة، وكانت أغلب الوقت تهذي بأمور غير واضحة أبداً، ومن الممكن أن يتم تحويلها إلى الطب النفسي للكشف عن قواها العقلية، ولكنها اعترفت وقالت أنّها على معرفة بعدنان، وعندما سألنا عن نوعية علاقتها به، صمتت ولم تُجب.

قال المحقق للشرطي وهو ينظر إليّ بعيني الريبة والشك:

- وما رأيك بكلام جميلة؟ هل تراه منطقياً؟ أم أنّه كلام لا يمت إلى الواقع بصلة؟

ردّ الشرطي:

- حتى الآن الحقائق غير واضحة، والمتهمة غير متعاونة أبداً، خاصة أنّها متقلبة الحال. أحياناً هادئة وتجيب بتركيز، وكل ردودها منطقية.. وأحياناً أخرى تصبح على غير طبيعتها وإجاباتها مبهمة.

كنت أستمع إلى حديثهم باهتمام،لينتبه إليّ الشرطي ويقول:

- اذهب إلى الغرفة المجاورة، ادفع الكفالة وحدّد موقع إقامتك، وطرق التواصل معك. اذهب إلى منزلك، وانتظر أيّ مكالمة نطلبك من خلالها.

وما أن انتهى من جملته حتى انطلقت مسرعاً، لا أريد البقاء ولا دقيقة في هذا المكان. وقمت بكل ما طلبه مني، ثم توجهتُ إلى منزلي، وبالتحديد إلى غرفتي الرائعة. وما أن دخلت إليها حتى عانقتني بكل حب، وهمستُ في أذنيها وقلت لها: لقد افتقدتك كثيراً. ثم اندسست في فراشي، بعد ما نال مني الإرهاق ما نال، وهاجس خوفي من الأحداث التي حصلت خلال الساعات الماضية هي ما تدق برأسي، وأحداث الليلة الماضية تلقي بظلالها على بالي، إلا أنّ النوم كان له السيطرة الأكبر، وسلطانه كان أكثر هيمنة، فنال مني التعب، وغرقت بكل عمق داخل أحلامي.

وجدت نفسي في صحراء شاسعة مترامية الأطراف، ولم يكن حولي أيّ أحد، إلا ذلك الخيال القادم من بعيد على هيئة رجل يتجه نحوي بخطوات ثابتة. لم أعرف أبداً من هو؟ إنّه يرتدي لباساً غير مألوف، طريقة ما يلبسه تؤكد لك أنّ زيّه يعود إلى حقبة قديمة كثيراً، تحديداً إلى ما نشاهده في بعض المسلسلات

التاريخية: رداء عربي يعود إلى فترة العصور العباسية أو الأموية، وفوق رأسه عمامة كبيرة. وقف عندي رأسي، لم تكن ملامح وجهه ظاهرة أبداً، بسبب تغطيته لنصفه.. نظر إليَّ بتيْنكَ العينين حادّتي النظر، وقال:

- من اليوم ستعرف من أنت!!

نهضتُ من مكاني وأنا أنظر إليه بخوف، وقلت:

- من أنت؟ وماذا تريد؟ وما الذي سأعرفه؟

- حان موعدك، سباتك الطويل لابد أن تفيق منه، نحن معك.. سنقف خلفك

لم أفهم أي شيء من الذي قاله لي أبداً!

أكمل حديثه وقال:

- ركز على الأحداث القادمة، وافهم ما يدور خلفها، نحن بجانبك.

ثم تركني ورحل، كنتُ وقتها أريد أن أفهم معنى كل الذي قاله لي، وبدأتُ أتحدث بصوت مبحوح، ومن ثم بدأ يتلاشى. انكتم صوتي وجفّ ريقي، ماهي إلا ثوانٍ حتى انشلّ لساني،وكأنّ ثقلاً يجثم على صدري. أحسستُ للحظة أنّ روحي ستخرج من جسدي، وأنَّ أنفاسي تتقطع بشدة، ولا أرى شيئاً أمامي. فقط هو الشعور بالانحباس الشديد داخل روحي، وأشياء أخرى لا أعرف كيف أصفها؟

صحوت على صوت هاتفي المحمول.

بعينيّ الثقيلتين أنظر إلى ذلك المتصل المزعج، الذي دنّس وقت راحتي، لم يكن رقم الهاتف معروف بالنسبة لي، أجبته وكان على الجانب الآخر من الخط صوت رجل يقول:

- معك قسم شرطة منطقة الفردوس، هل يمكنك الآن مراجعتنا بسرعة؟

أغلقت الهاتف وأنا أتأفف من تلك الاتصالات المزعجة وغير المنطقية. هنا تذكرت ذلك الحلم المزعج، وذلك الرجل العربي القديم، الذي قال تلك الكلمات ورحل، والعديد من الأسئلة التي تعج برأسي. ومن ثم أتى هاجس تلك المجنونة جميلة التي دخلت حياتي فجأة. لا أدري لماذا يقحمونني في أمور لا شأن لي بها، أخذتُ زفره عميقة، نهضتُ من الفراش واتجهتُ إلى الحمام من أجل تجهيز نفسي للذهاب إلى مركز الشرطة.

اغتسلتُ وغيرت ملابسي، كانَ كل ما أفكر به هو التعاون معهم حتى لا يظنوا بي الطنون، وأصبح ضمن دائرة الاتهام. كل ما أريده فقط أن أخرج نفسي من كل هذا.

كنت أثناء قيادتي للسيارة أردد تلك الجملة:

- الله يستر من القادم

كان الجميع في انتظاري عندما وصلت، وجّهني أحد أفراد الشرطة إلى أحد الغرف، وما أن دخلت حتى رأيت أحد الضباط، غير أنّه كان مختلفاً عن الذي كنت أجلس معه ليلة البارحة، بمجرد أن رآني قال لي:

- سيد عدنان، للأسف الشديد منذ ساعة تمّ إبلاغنا أنّ المدعوة جميلة قد هربت أثناء وصولها إلى مستشفى الطب النفسي، وكل ما نريده منك التعاون معنا من أجل الوصول إليها، وأي معلومات ستدليها لنا ستكون هامة جداً بالنسبة للقضية، أي محاولة لتضليل العدالة ليست في صالحك، حتى الآن أنتَ داخل دائرة الاتهام، فقط نريد منك التعاون الذي سيخرجك من هذه الدائرة، إن كان بالفعل ليس لك أي صلة بتلك الأحداث.

كان الخبر صادماً بالنسبة لي، أعرف جيداً أنّ جميلة هي التي بيدها تبرئتي من كل التهم المنسوبة إلي، وهذه المرأة قد هربت من الشرطة، وهذا يعني أنّ المسألة ستطول كثيراً. قلت بعد أن انتابني بعض من اليأس:

- هل سيتم القبض عليّ الآن؟

رد الشرطي وقال:

- لا.. لا.. ليس لنا الحق في القبض عليك، فقط أردنا أن ننبهك ونطلب منك التعاون. جميلة امرأة قاتلة، ونحن نريد الوصول إليها، ومن الممكن أن تقوم بأي عمل سيئ في الخارج، فليس لديها أي شيء تخسره الآن.

قلت للشرطي بصوت صادق:

- أنا معكم في كل ما تريدون، وأؤكد لكم أنّه لا تربطني أي صلة بتلك المرأة المدعوة جميلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5

عدت من قسم الشرطة بعد سلسلة من التحقيقات الطويلة، والروتين الحكومي الممل المتمثل في فلسفة الإجراءات الغريبة التي تعشق الانتظار. كانت شمس نوفمبر نوعاً ما دافئة في ذلك الوقت، إلا أنّ سخونة الأحداث المتتالية التي حصلت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية تحرقني من الداخل. دخلت منزلي لأجد والدتي جالسة وفي عينيها العديد من التساؤلات. أعرف أمي جيداً، فضولية كثيراً، والمصيبة الأكبر أنّها لا تصدقني. الحل الوحيد في مثل هذه الظروف: قل ما عندك، وسنرى إن كان عقلها سيصدق ما أحكي، أم أنني سأدخل في دائرة تحقيقات جديدة.

قلت لوالدتي جميع ما جرى خلال الفترة الماضية، كما توقعت نظراتها كانت تؤكد أنّها تشك في كل ما أقول، ثم قالت:

- تشبه جدّك في كل شيء، حتى في مشاكلك تشبهه. أحمدُ الله أنّه ترك منزلنا وعاش لوحده مع زوجته الثانية، لا أتحمل أن أعيش مع شخصين بمثل صفاتكما. الأمر لا يطاق إذا عشت معكما.

نظرتُ إليها باستغراب وقلت:

- هل ما يزال جدي حيّاً؟

قالت بعد أن ارتشفت قهوتها التي بيدها، وعلى وجهها علامات الارتباك:

- مات منذ سبع سنوات

صمتُّ لثوانٍ وأنا أفكر، ثم قلت:

- ولماذا لم أعرف عنه شيئاً خلال الفترة الماضية؟.

نظرت إليّ بريبة وقالت:

قطعتُ علاقتي به منذ أكثر من خمس عشرةَ سنة، بسبب المشاكل العديدة التي حصلت بينه وبين أمي، خاصة بعد أن فكّر بالزواج من امرأة بعيدة كل البعد عن مجتمعنا وعاداتنا وتقاليدنا. لا نعرف من أين تعرَّف عليها؟، فمنذ تلك اللحظة قررنا قطع علاقتنا به. المحزن يا بنيّ أنّ والدي لم يفكر حتى بالتواصل معنا، خاصة بعد وفاة جدتك، ولم يحضر عزاءها، رغم أنني وحيدته.

ازدادت تساؤلاتي وقلت:

- وأين كان يعيش طوال تلك الفترة؟

أجابتني والدتي

- في منزله الذي تعيش به حالياً زوجته أو أرملته، في منطقة (الشامية)، ولا نعرف عنه شيئاً.

سألتها مجدداً:

- وما الذي نتشابه به أنا وجدي؟

قاطعتني بعصبية:

- كفَّ عن هذه الأسئلة التي لا تفيدك بشيء، وفكّر جيداً كيف ستتخلص من المشكلة التي تحاصرك الآن.

تذكرت حالي والمشكلة التي وقعت بها، وإلى الآن لم أصل بها إلى حل، ثم استأذنت من والدتي التي كانت تتذمر كثيراً، وصعدت إلى غرفتي أريد أخذ قسط من الراحة، بعد ساعات متعبة نفسياً وجسدياً .

قذفتُ جسدي المنهك على الفراش، ومن دون شعور غرقت في النوم مجدداً.

المكان الذي أنا فيه الآن أشبه بغرفة كبيرة جميلة مزينة بأجمل اللوحات والأثاث الرائع، والإنارة التي تكاد أن ترقص من شدة جمالها. كنتُ منبهراً بالمكان كثيراً، ولم أعرف حتى تلك اللحظة أين أنا؟ أو لماذا أنا في هذا المكان؟ المشكلة أنّي كنتُ وقتها أبحث عن باب حتى أستطيع الخروج منه، لم أجد سوى النوافذ البعيدة.

ومن العدم ظهر شيء يسير خلفي، التفتُّ بسرعة كبيرة لأجد أمامي ذلك الرجل الذي زارني في المنام ليلة البارحة، وكان يرتدي تلك الملابس العربية القديمة. بانت عيناه اللتان كانتا تلمعان بشدة وبحده في نفس الوقت.

اقترب مني ثم قال مجدداً:

- ركّز يا عدنان لقد حان وقتك، ركز في جميع ما يدور حولك، أنت مرصود من الجميع. وتأكد أننا معك، خلفك وأمامك، لا نريد سوى حمايتك، القادم سيجعلك تعرف من أنت وما بداخل نفسك.

حاولت الكلام، أريد أن أعرف لماذا هذا الشخص غريب الأطوار يتكلم معي بهذه الطريقة؟ ولماذا أنا في هذا المكان؟، ولماذا دائماً لا يعرف عن نفسه؟ إلا أنّ كل أسئلتي أصبحت حبيسة داخل فمي. كنتُ أشعر بثقل كبير في لساني عندما أحاول النطق، وبصعوبة شديدة في حركتي، وبشلل أصاب جسدي كله، فيما كان ذلك الرجل الغريب ضخم الجثة، طويل القامة، ينسحب بهدوء من المكان دون أن يلتفت ناحيتي. وكالعادة قفزت من فراشي فزعاً والعرق يتصبب من جميع نواحي جسدي، كأنني للتو توقفت عن الركض

لمسافة بعيدة. عندما تأكدت أنّ كل ما كنت أراه مجرد حلم، وفي نفس الوقت هناك هاجس يؤرقني كثيراً: لماذا هذا الحلم يتكرر معي؟ ولمَ تتكرر زيارة ذلك الرجل الغريب لي، ويقول لي نفس الجمل المبهمة؟.

قمتُ من فراشي واتجهت ناحية نافذة غرفتي أنظر إلى الشارع وأريد التنفس قليلاً، وتغيير حالتي النفسية التي تبعثرت من أثر ذلك الحلم. نسيم الهواء البارد ينبعث من الخارج يداعب وجهي، أشعر براحة كبيرة، هنا ارتعدت فرائصي فجأة عندما لمحتُ شيئاً في الباحة الخارجية لمنزلنا، شيئاً يتحرك عند الباب الخارجي، كنت أتوقع أنّها قطة مرت بشكل سريع، أو أنني واهم بسبب قلة التركيز التي أمرّ بها الآن.

لم تصدق عيني ما رأته في البداية!، كنتُ أتمنى أن أكون ما زلت أعيش في ذلك الحلم قبل قليل، وما شاهدته أكّد لي أنّه الواقع. يبدو أنّ ما أرى الآن جسد بشري يتحرك في هذه الساعة المتأخرة من الليل أمام باب منزلنا من الداخل.

أمعنت النظر قليلاً أريد معرفة هوية هذا الشخص الذي يتحرك ويزور منزلي في هذا الوقت! رفعت رأسها وكانت تنظر إلى مكان النافذة التي أقف خلفها.. أصابني الذعر، عندما بانت ملامح الوجه، وكيف كانت تنظر إليّ بطريقة مفزعة!

لا.. لا.. الذي أراه شيء يفوق ما أتصور، لم أتوقع أن أجد هذا الشخص! كان شعرها مبعثراً، تنظر إليّ بذلك الوجه الشاحب، والملابس الرثة، تراجعت قليلاً إلى الوراء، أخذت نفساً عميقاً، رحت أفكر قليلاً: لماذا أصبحت المشاكل تطاردني؟ لماذا هذه المرأة صارت قدري الذي يلازمني؟

عاودت النظر مجدداً من خلال النافذة إلى المكان نفسه في الطابق الأرضي، لم أجدها. لقد رحلت، السؤال الآن: أين ذهبت هذه المجنونة التي تدعى جميلة؟!! ولماذا توجد في بيتي في هذا الوقت؟

أخذت نفساً عميقاً أريد استجماع بعض قواي، كنت متردداً كثيراً ما بين البقاء في غرفتي، أو النزول إلى الطابق الأرضي والبحث عن تلك المرأة التي قامت بقتل زوجها ليلة أمس.

وما بين ترددي وأفكاري، سمعت طرقات على باب غرفتي!!

تجمد الدم في عروقي، رأيت مقبض الباب يتحرك كأنّ أحدهم يحاول الدخول، منزلي الذي أسكن فيه لا يعيش بداخله إلا أنا، ووالدتي، والعاملتان اللتان تقيمان في الطابق الأرضي. وأمي من النادر أن تأتي إلى غرفتي في هذا الوقت.

تكررت الطرقات مرة أخرى، قلبي من شدة ضرباته يكاد يخرج من صدري، توقعاتي كلها تشير إلى أن الشخص الذي خلف الباب هو جميلة، السؤال: ما الذي تريده مني؟ هل تريد قتلي أنا الآخر؟، هذه المرأة ملبوسة من الجن، كيف لي أن أفتح لها الباب؟. والمصيبة الأكبر أنّها قاتلة، وهاربة من العدالة، وحتى إن أمنتُ جانبها، فكيف آمن ذلك الشيء الذي بداخلها؟

بدأت عيني تدور في الغرفة باحثاً عن أي شيء أتسلّح به قبل أن أتجرأ وأفتح الباب لمواجهة جميلة، حتى وقعت عيني على عصا صغيرة، أمسكت بها وتقدمت ناحية الباب، الذي ما يزال الطرق يتواصل عليه، ومقبضه يتحرك بسرعة.

وما أن وصلتُ حتى سمعت صوت جميلة من خلفه تقول:

- عدنان افتح الباب، أعلم أنّك في الداخل، ساعدني أرجوك.

لم أرد على أيّ من كلماتها وبقيت صامتاً، أستمع بدقة إلى كل ما تقول، والعديد من الأفكار والهواجس تدور برأسي. هل ما تقوله هذه المجنونة صحيح؟ لماذا تطلب مني المساعدة؟ أم إنّها حيلة حتى تكسب عطفي لأفتح لها الباب، لكي تنقضّ عليّ وتقوم بقتلي مثلما فعلت بزوجها ليلة البارحة.

بدأت جميلة تعاود تكرار كلماتها، وازدادت حدة طرقاتها على الباب، وراح صوتها يرتفع كثيراً. كنت متوتراً والقلق والخوف يكادان يبتلعاني، لم أجد أمامي حلاً غير أن أفتح الباب، وأواجه مصيري الذي لم أكن أعرفه بتاتاً.

مددت يدي نحو الباب لأفتحه بكل قوة، لتندفع جميلة التي كانت وقتها تحاول دفع الباب بجسدها، وتسقط أمامي بذلك الشكل المرعب، وهي تلهث بشدة، وتنظر إليّ بعينين مذعورتين، قامت من مكانها بتثاقل، وقالت:

- صدّقني لا أريد إيذاءك أبداً، أنت الوحيد الذي سيفهمني جيداً، ويعرف جيداً ما الذي أعاني منه؟، الحل بيدك أنت، الجميع يظنون أنني قاتلة، والبعض الآخر يرون أني مجنونة. عدنان، أنت الحل الوحيد لكل مشاكلي، ما بداخلي لن يرحل، إلا بمساعدتك لي.

قلتُ لها وأنا رافعٌ يدي بتلك العصا، محاولاً إخافتها:

- وما الذي يجعلكِ متأكدة أنني أنا الذي سأستطيع مساعدتك؟، ومن أين تعرفينني طوال هذا الوقت؟ ولماذا تطارديننني في كل مكان؟

كانت أنفاسها متسارعة، ثم قالت:

- أولاً أريد كوباً من الماء، وسأقول لك كل ما أعرفه، ولماذا أنا متأكدة من أنكَ أنت منقذي، والحل لكل ما أعاني منه.

جلستْ على أحد الكراسي الموجودة في غرفتي بعد أن شربت كأسين من الماء، يبدو أنّها بدأت تهدأ، بسبب حالة الاسترخاء الذي بانت على ملامحها، ثم صرختُ في وجهها وقلت:

- كيف تدّعين معرفتك بي عند التحقيق معك في قسم الشرطة؟ ولم يسبق لي رؤيتك.

أجابتني وقالت:

- أنا أعرفك جيداً يا عدنان، لم أدَّعِ ذلك.

لم أكن أفهم لماذا تؤكد معرفتها بي؟، وقلت لها:

- لماذا هربتِ من الشرطة؟، وأنت تدعين أنكِ بريئة من كل ما حصل؟

نظرت إليّ بعد أن وضعت الكأس الثالث من الماء على الطاولة الصغيرة..

- الشرطة لن تفهم ما أمرّ به، لأنها تبحث عن دلائل مادية واضحة، والذي أعاني منه شيء يفوق إدراك الشرطة.

لم أفهم منها أيّ جملة، ثم قلت مستفهماً:

- أنت في نظر الشرطة قاتلة، عدا ذلك: ما الدوافع التي جعلتكِ تقتلين؟ وما هذا الشيء الذي تعانين منه؟ وتقولين لن تفهمه الشرطة؟

قالت بعد أن بدأت تنظر ناحية الأرض بأسى:

- الذي أعاني منه مسّ، مسّ من نوع خطير، يعشقني إلى حد الجنون

قلت لها بانبهار:

- ملبوسة من الجن! هذا أمر متوقع نظراً لما قمتِ به، والحادثة الذي ذكرها ذلك الشيخ بعد قتلك لزوجك.

أجابتني بحدة قليلاً:

- وهذا الشيء لا تفهمه الشرطة، لأنّها أشياء غير واضحة لهم، الشرطة تبحث عن الدلائل والبراهين، وأنا في نظرهم قاتلة، وكل الأدلة تؤكد أنني أنا من قمت بقتله، إضافة إلى وجود عدد من الشهود على ذلك.

قاطعتها قائلاً:

- دائماً يوجد دوافع للقتل..

أجابت بيأس:

- الشرطة لن تتفهم دوافعي للقتل، لأنني لم أكن في وعيي عندما أقدمت على قتل زوجي بتلك الطريقة، الذي يعيش بداخلي هو من سيطر عليّ وقتها، وقام بتلك الفعلة الشنعاء، الذي يتلبّسني يا عدنان جنٌّ من النوع الشرس، جنٌّ يفوق كل التصورات، ولن يقدر عليه أحد سواك..

نظرت إليها بتعجب وقلت:

- أنا الذي أقدر عليه؟!! وما الذي يجعلك متأكدة أنني أنا الذي سينقذك؟، رغم أنني لا أعرف أي شيء عن هذا العالم، وليس لديّ أي قدرات للتعامل معهم.

أجابت:

- الشيخ زهران هو من دلني عليك، وقال لي إنّك الشخص الوحيد في هذا العالم القادر على مساعدتي للقضاء على (جشمان).

نظرت إليها باندهاش وقلت:

- مَن هذا الشيخ زهران الذي يعرفني ودلّك عليّ؟، ومن هو جشمان؟..

قالت..

- الشيخ زهران زارني في الحلم، عندما أغمي عليّ ليلة البارحة بعد أن قتلتُ زوجي وهربت، وأثناء إغماءتي تلك زارني في الحلم، إنّه شيخ يرتدي ملابس عربية قديمة سوداء، ويضع عمامة كبيرة خضراء تقريباً على رأسه. وجهه شاحب، وعيناه تلمعان. قال لي عندما زارني: لن يخلصك من هذا كله إلا عدنان.

قلت له:

- أين أجد عدنان هذا؟

قال لي:

- عندما تفيقين من نومكِ، ستجدينه أمامك مباشرة، وعلامة على ذلك، إنّه يضع نظارة ذات إطار أسود سميك.

وعندما أفقت من غيبوبتي، وجدتكَ أمامي مباشرة تنظر إليَّ بتلك النظارة السميكة، مثلما قالي لي الشيخ زهران، لأنطق اسمك مباشرة بشكل سريع، وهم يقولون: إنّها تعرفك، وتأكدتُ أنّه أنت كما ذكر الشيخ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

6

أصابني الذهول والدهشة وكل ما يثير الغرابة، ذلك الرجل ذو العمامة الذي زارني في المنام منذ يومين، هو نفسه الذي زار جميلة في منامها، حتى أتأكد أكثر سألتها قائلاً:

- هل كان جسده ضخماً وطويل القامة؟

أجابتني وقالت:

- نعم طويل القامة، ذو بنية ضخمة، لا يظهر منه سوى عينيه اللامعتين

إنّه هو بعينه كما قالت جميلة، وكيف لي أن أنقذها من هذا كله؟، لا أدري بصراحة، حتى هذه اللحظة أشعر بأنني تائه تماماً، هناك دقيقة مفصلية في حياة أي شخص، إذا حدثت ستغيّر كل ما قبلها.

تذكرتُ شيئاً هامّاً، وقلت لها:

- مَن جشمان الذي ذكرتهِ قبل قليل؟...

قالت بعد أن بانت على وجهها ملامح الخوف:

- لا تذكر اسمه كثيراً، فربما يأتي في أيّ لحظة

ثم راحت تلتفت يميناً وشمالاً في المكان وهي مذعورة..

قلت لها:

- هل تقصدين أنّ الجني الذي يتلبّسك اسمه جشمان؟

صرخت بوجهي بذعر قائلة:

- أرجوك لا تذكر اسمه كثيراً، من الممكن أن تحضره في أي لحظة، وأخاف وقتها ألّا أتحكم بنفسي، وتصدر منه أمور لا تحمد عقباها.

ابتلعت ريقي قليلاً، وتذكرت كلام ذلك الشيخ، وما فعلتهُ جميلة بزوجها، ثم قلت:

- ما المطلوب مني الآن؟

قالت: كل ما أطلبه الآن أن أختبئ عندك الليلة، ومن ثم ننام. ومن الممكن أن يزورنا الشيخ زهران لعلّ وعسى أن يدلنا على الخطوة المقبلة.

فكرتُ في نومها معي في غرفة واحدة، إنّها فكرة مرعبة جداً!، خاصة أنّها مسكونة بمخلوق غريب شرس، يتحكم بها كما يشاء، ثم قلت:

- بصراحة يا جميلة، لن أشعر بأي راحة وأنت تبيتين معي في هذه الغرفة، خاصة أنّكِ تعانين من حالة غريبة جداً، وفي داخلك من يتحكم بكِ، لابد أن نجد حلاً آخر.

لم أجد أي رد من جميلة، وأكملتُ:

- لماذا لا تسلّمين نفسك إلى الشرطة، وبعدها نفكر بطريقة نخلصك فيها من هذا كله؟، ونشرح حالكِ لهم، ونجد حلاً ننقذك من خلاله ممّا ألمَّ بك؟

نظرت إليّ بكل حدة وقالت:

- لن أسلّم نفسي إلى الشرطة، حتى لو كلّفني هذا الأمر حياتي. اطرد هذه الفكرة من رأسكَ، نحن الاثنان لدينا مهمة لابد أن ننفذها، وإذا كنت خائفاً مني، فسأنام في الحمام الخاص بك، وقمْ بإقفال الباب عليّ من الخارج؛ حتى تشعر بالأمان.

طرأ على بالي سؤال آخر طرحتهُ بسرعة:

- كيف سكن بكِ ذلك الذي يدعى جشمان؟، معلوماتي القليلة عن الجن تؤكد أنّ هذه المخلوقات لا تسكن أحداً من دون سبب واضح، وهل أنتِ من محبي البحث والتواصل مع العالم الآخر؟

تنهّدت تنهيدة طويلة وقالت:

- ليس لدي أي إجابة على سؤالك هذا، ولا أعرف لماذا هذا الشيء سكن بداخلي، فأنا إنسانة تخاف كثيراً من هذه المخلوقات، وأتجنبها ولا أفكر حتى في الاستماع إلى قصص تخصها. وقبل أربعة شهور تقريباً بدأت أتصرف بغرابة شديدة، وأحلم بأشياء لم أتصور في يوم من الأيام أن أراها، حتى ظهرت تلك الأعراض الغريبة عليّ. أشعر أنني في حالة غيبوبة، وعندما أفيق منها أسمع تلك الأحاديث التي يقولونها لي، بأنني فعلتُ كذا وكذا، وطبعاً آخر تلك المصائب هي التي فعلتها بقتلي لزوجي، والتي لا أتذكر منها أي شيء، خاصة أنني صحوت وبداي وملابسي ملطخة بدمائهِ، وهو جثة هامدة أمامي.

شردتُ بذهني قليلاً بعد سماعي إجابتها، غير أنني لم أصل إلى يقين حقيقي حول هذا الشيء تلبّسها من دون سبب، ثم قطعت حالة شرودي تلك وقالت:

- عدنان، أرجوك أنا متعبة كثيراً وأحتاج إلى الراحة.

لم أجد أي حجة أخرى أتملص بها من فكرة وجودها معي في نفس الغرفة، وفي نفس الوقت شيء ما بداخلي يرغمني على الانصياع لها. مرت ثوانٍ من الصمت لتقطعهُ جميلة بوقوفها المباشر أمامي وقالت:

- أريد فراشاَ صغيراَ حتى أنام عليه في الداخل، فأنا متعبة جداَ وبحاجة إلى الراحة، فلدينا مهمة كبيرة غداً وتحتاج منا التركيز الكبير، وكل ما أريده منك فقط الصبر.

أعتقد أنني في موقف لا أحسد عليه، ولا أجد أمامي سوى الانصياع إليها بالكامل، وأعتقد أيضاً أنّ ليلة واحدة لن تضر لو بقيت معي. وإذا استمر الحال على ما هو عليه، لا أتردد أبداً في إبلاغ الشرطة حتى تقوم بمهامها معها، الأمر لا يحتمل أكثر من ذلك.

بالفعل ذهبتُ وجلبت لها فراشاً صغيراً ووسادة. توجهتْ إلى الحمام بخطوات هادئة، كأنّها تريد الخلاص من هذا الحديث، وما أن دخلت حتى قمتُ مسرعاً بإقفال الباب من الخارج.

توجهتُ إلى فراشي، وتمددت بجسمي ووضعت بجانبي تلك العصا التي تسلحتُ بها قبل قليل. طبعاً لم تذق عيني طعم النوم وقتها، خاصة أنّ من يشاركني الغرفة الآن إنسانة لديها حالة غير طبيعية وغير مسيطر عليها، وبداخلها يسكن وحش في أيّ لحظها يتلبسها، ومن ثمّ ينقضّ عليّ. رحتُ أتقلب على فراشي، متحفزاً لأي تصرف تقوم به جميلة. تمر الساعات ثقيلة، وسكون الليل يزيد من سوء الموقف الذي أعيش به، وما هي إلا لحظات حتى غلبني النوم، وطبعاً كالعادة زارني ذلك الشيخ الذي عرفت اسمه من جميلة، والذي يدعى زهران.

كأنني كنتُ نائماً في الحلم، ونهضت على تلك اليد التي هزّتني تريد إيقاظي. صحوت بهدوء، لأجد الشيخ زهران ينظر وهو صامت تماماً، وكان جالساً على الأرض. قلت له:

- ما الذي تريده مني يا زهران؟، أريد أن أعرف لماذا يحصل كل هذا لي؟ ومن أنت لتقوم بزيارتي؟

لم أجد أي إجابة منه سوى تلك النظرات الحادة والمباشرة التي يوجهها ناحيتي.

كررت عليه نفس الأسئلة.

- زهران.. لماذا أخبرتَ جميلة أنني أنا الشخص الوحيد في هذا العالم الذي لديه القدرة على مساعدتها؟

بقيَ صامتاً لا يجيب، بينما أنا أحاول النهوض من الفراش الذي كنتُ نائماً عليه، ليتكرر نفس الوضع السابق، وكأنني مكبل بهذا السرير ولا أستطيع النهوض. وفي هذه المرة كنت مصراً على أن أتخلص من الحالة التي أنا فيها الآن، أريد تخليص نفسي. وبدأت أقاوم، أقاوم بكل قوتيِ ومع تكرار

المحاولات شعرت أنّ هذه الأغلال قد اختفت، ونهضت سريعاً من مكاني، وكنت في حالة صدمة لأنني لم أكن واثقاً من تخليص نفسي، لأسمع صوت زهران وهو يقول:

- انفكت الأغلال التي تكبلتَ بها طوال الفترة الماضية، وبدأت المهمة. إنَّ الزمان زمانك، والوقت وقتك، وكلنا تحت خدمتك. جميلة بحاجتك الآن بشكل كبير، جشمان يفرض السيطرة، ويرفض الخضوع، والذي لا يخضع لك سيدي، مصيره الهلاك. انهض.. انهض بسرعة يا سيدي، لفرض هيبتكَ على جشمان المتمرد.

كنتُ أنظر إليه ببلاهة، ولم أفهم أي كلمة ممّا قاله لي. قال لي مرة أخرى بنفس النبرة التي تفوّه بها:

- الورقة البيضاء، الورقة البيضاء، على يمينك.

فتّشت يميني، ولم أجد أي ورقة.

كرّر نفس الجملة وقال:

الورقة البيضاء، الورقة البيضاء، أول المفاتيح. انهض، انهض، انهض في الحال..

وعندما صحوتُ بشكل مفاجئ، نهضتُ سريعاً من الفراش كأنّي ملسوع!

قلبتُ المكان بنظري مذعوراً، كانت وقتها أشعة الشمس هي ما تسلل بنورها داخل غرفتي من فتحات الستائر، وأول ما قمتُ به هو النظر إلى باب الحمام، حتى أتأكد أنّ جميلة

ما تزال داخله. والمصيبة ذلك المنظر الذي جعلني أعيش بحالة فزع.

تقدمت ناحية باب الحمام لأجدهُ مكسوراً من الداخل، وكأنّ مخالب كبيرة قد قامت بخلعه وبتكسيره، بسبب آثار خدوش كثيرة عليه، كأنّ حيواناً مفترساً كان يعيش وراءه. دفعت ما تبقى من الباب لأجد الحمام خاوياً، ولم تكن جميلة بداخله!!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7

أي دوامة تعيشها يا عدنان؟، أين ذهبت تلك المجنونة؟، ولماذا لم أشعر بها قبل خروجها؟، أي قوة تمتلك حتى تستطيع تدمير الباب بتلك الطريقة!، السؤال الذي يدور برأسي الآن: أين ذهبت الآن؟

وضعت يدي على رأسي، وجلست على سريري، أفكر بطريقة مبعثرة، ولا أدري أنا بأي حال الآن؟، وبينما أنا على هذا الوضع سمعت طرقات على الباب، خفت بشدة، تذكرت ليلة البارحة عندما جاءتني جميلة بنفس الطريقة.

حتى سمعت صوت والدتي من خلفه. صوت الأم يعني الأمان في كل مكان، وعندما فتحته، تفاجأت بوجه والدتي الشاحب، وكان في يدها صحيفة، وهي تقول لي:

- يبدو أنكَ أصبحت من المشاهير.

لم أفهم جيداً ما ترمي إليه؟ وكنت أعتقد أنّ ما تقوله ما هو إلا بعض جملها المستفزة التي ترميها عليّ بين الحين والآخر. الأمهات دائماً ما يعبرنَ عن سخطهنّ على أبنائهنّ بكلمات غريبة.

مدّت الجريدة أمام وجهي، ثم راحت تنظر بطريقة غريبة. وما أن وقعت عيني على ذلك الخبر حتى صعقتُ من جديد!، الصدمات حالها حال المصائب، إذا جاءت تأتي مجتمعة. كان عنوان الخبر كالتالي:

- قاتلة "كبد" تهرب.. وعدنان متهم..

وعندما دقّقت في تفاصيله، تملّكني غضب شديد، الصحافة في بعض الأحيان غير دقيقة، لأنهم صنفوني كمتهم، ولي صلة قريبة من جديد بالجريمة وبتفاصليها، والشرطة تجري حالياً تحقيقها الموسع معي. وحسب ما كتبوا أنني أحد المفاتيح التي ستفكّ خيوط هذه الجريمة.

لم أكن أتوقع أنني في يوم من الأيام سأقع في كل هذه المشاكل، وبهذه الطريقة الغريبة! قاطعتْ والدتي حالة صدمتي، وقالت مرة أخرى:

- ما الذي ستفعله الآن؛ حتى تخرج نفسك من هذا كله؟.

لم أجد في ذهني أي إجابة الآن، حالة التَّوهان التي أشعر بها فريدة من نوعها. أردفت مرة أخرى قائلة:

- ابحثْ لك عن محامٍ جيد، حتى لا يتفاقم الأمر. يبدو أنك متورط.

قلتُ لها بعد أن أخرجت غضبها بطريقتها الخاصة، وأنا أعرف أنّها خائفة عليّ أكثر من نفسي، ووالدتي لا تعرف أن تعبّر عن حبها إلا هكذا:

- بعد إذنكِ يا أمي اتركيني، أحتاج إلى الخلوة حتى أستطيع أن أفكر جيداً.

تذكرتُ حالة باب الحمام، وخفتُ أن تنتبه إليه، وتبدأ مساءلة جديدة أنا لستُ مستعداً لها في الوقت الحالي.

تركتني والدتي وهي تتمتم بكلمات غير واضحة، حينها ذهبتُ وجلست على سريري، أحاول إعادة ترتيب أوراقي من جديد، وما أن استدرتُ نحو الخزانة الصغيرة التي بجانبي، حتى وقعت عيناي على تلك الورقة البيضاء الموجودة فوقها. مددتُ يدي وبداخلي بعض التساؤلات، أهمّها: من أين أتت تلك الورقة؟

فتحتُها لأقرأ المكتوب فيها:

جميلة موجودة هنا. وكان العنوان منطقة النزهة، مع ذكر رقم الشارع ورقم المنزل. وفي النهاية كُتبت جملة: اذهبْ حالاً، لا يوجد متسع من الوقت.

كان الخط يشبه تلك الخطوط التي كانَ الملوك والأمراء يتراسلون به في العصور القديمة الغابرة. لم أفهم جيداً ما ترمي إليه الرسالة! إلا أنّ إحساسي الداخلي يحثني على الإسراع والذهاب إلى العنوان نفسه، خاصة أنني عرفت من الرسالة أنّ جميلة توجد في ذلك المكان.

تذكرت شيئاً هاماً: الحلم الذي يتكرر مع الشيخ زهران، وهو يردد:

الورقة البيضاء، الورقة البيضاء، أول المفاتيح، انهض، انهض، انهض في الحال.

بدأت الأحداث التي حصلت منذ ليلة البارحة تتضح في رأسي نوعاً ما بشكل جيد، خاصة أنني عرفت أنّ الشيخ زهران ليس بالشخص العادي، بل يحمل خلفه سراً، ولا أعرف لماذا يتعامل معي بهذه الطريقة؟ ولماذا أيضاً دلّ جميلة عليّ؟، وأخبرها أنني أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذها؟

نهضت سريعاً من فراشي، ومن ثمّ غيرت ملابسي، وانطلقت مسرعاً إلى ذلك العنوان المكتوب في الورقة، إذ لم تكن المسافة بعيدة ما بين منزلي الذي أسكنه في منطقة القرين ومنطقة النزهة. يبدو أنّ القدر يخبئ لي العديد من الأحداث الصادمة، لأنني أتعامل مع أشياء حتى الآن لم تكشف عن نفسها بعد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

8

يجلس الشيخ الكبير على أحد الكراسي الإسفنجية القديمة، وقريباً من أنفه يمتد أنبوب بلاستيكي رفيع، يحاول من خلاله التنفس. ملامحه الآن واهنة ومتعبة، بسبب المرض اللعين الذي أهلكَ جسده. وبجانبه العديد من علب الأدوية المتنوعة. ينظر بشرود إلى تلك الصور المعلقة في غرفته، والتي تنوعت ما بين صور لأشخاص قد رحلوا عن هذه الدنيا، وصور لآخرين ما يزالون على قيد الحياة، وعدد من اللوحات الزيتية المتنوعة معلقة بينها. سمرة الشيخ هي ما تميزه عن باقي أفراد العائلة، ونحول جسده يؤكد ما به من داء قد حرمه مذاق الطعام.

المنزل الذي يعيش فيه الشيخ الكبير عزام قديم نسبياً، وما يزال على طراز الثمانينات. والناظر إليه من الخارج يظن أنّ المنزل لا يسكن به أحد، بسبب ضخامته وقلة ساكنيه. ولا يعيش معه سوى ابنه شملان صاحب الثلاثة والعشرينَ ربيعاً.

يدخل شملان على والده الممدد على فراشه، والذي استفحل فيه المرض، لكنّ كلماته التشجيعية كانت عكس ذلك عندما قال:

- ما تزال قوياً يا أبي، أعلمُ جيداً أنكَ ستهزمه قريباً.

نظر الشيخ الكبير إلى ولده، وقال بصوت متعب:

- مشكلتك أنكَ لا تجيد التمثيل، وأنا أعرف جيداً، إنني أعيش أيامي الأخيرة، فلا تكذب عليّ بتلك الكلمات، وأنت تعلم جيداً أنني لست من هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع الواقع.

هزّ شملان رأسه، وصمت قليلاً ثم قال:

- هل زارك اليوم؟

أجابه والده قائلاً:

- زارني اليوم، وحكى لي كل شيء، يبدو أنّ هذا الأحمق ما يزال لا يفهم كيفية التعامل مع كل مَن حوله، الأمر لا يتحمّل التأخير كثيراً.

قال شملان:

- كان المفترض أن أكون أنا من أنصَّب مكانه، لأنني تتلمذتُ على يدك، ولديّ علم بكل كبيرة وصغيرة في هذا العالم.

رد الشيخ بعد أن توقف عن السعال، وقال:

- هل تعتقد أنني لم أكن أتمنى أن تنصَّب؟ فأنت الأحق بهذا كله، وراثة عاداتنا كلها وانصبَّت في جسد ذلك الأحمق، وأنت تعلم أنّ الأقطاب لا يقبلون بالوراثة العائلية التي لا تتوفر فيها الشروط. في هذا العالم القوانين هي ما يحكم ولا يستثنى منها أحد. أهمها العلامات التي توفرت كلها فيه، ونحن الآن نقوم بتجهيزه لهذه المهمة، حتى يصبح الوريث من بعدي، اختيارات القدر بعض الأحيان مؤلمة.

صمت شملان قليلاً، ثم قال:

- لا أعلم كيف يحصل هذا الأمر؟، ولا أرى أيّاً من العلامات في ذلك المعتوه الذي راقبته مدة من الزمن. أكاد أجنّ! إنّه حتى لا يعرف كيف يتعامل مع من حوله، ومن السهل استغلاله.

ردّ الشيخ عزام وقال:

- إنها قوانينهم يا ولدي، لا نستطيع بأي طريقة كانت أن نتجاوزها، وإن فعلنا عكس ذلك، فمن الممكن أن نتضرر. فالذين نتعامل معهم أقوى مما تظن، ولابد من تجهيز الوريث الذي سيحل مكاني، كما ترى إنّ السرطان الذي أصابني في رأسي، ما يزال ينخر في جسدي كل يوم، ولا يوجد أي مجال لعلاجه، حتى هم لم يستطيعوا إيقافه.

قاطع شملان والده وقال:

- فكرة أنّهم لا يستطيعون مساعدتك أمر لا أصدقه أبداً، فهم قد ساعدوك سابقاً، واستطاعوا تخليصك مما كان بك.

قال الشيخ عزام:

- يبدو أنَّ للعمر أحكامه، خاصة أنّ الوريث شاب في مقتبل العمر وناضج، وفيه كل الصفات التي يريدونها، ولكل شيء نهاية يا شملان، ولابد من تجهيزه لهذه المهمة القادمة.

عمّ المكان الصمت مجدداً، وكان الشيخ عزام ينظر إلى إحدى الصور المعلقة في غرفته، ثم قال:

- أختك جليلة، كان من الممكن أن تكون شخصاً رائعاً، لكنّها فضلت الابتعاد عن هذا العالم بحجة أنّها لا تريد أن تضر أي شخص كان، علماً أننا نسعى للخير، ونساعد الناس في حل جميع مشاكلهم، وفي إبطال جميع الأعمال السيئة، والخلاص من شرورها. كما أنّ والدتها كانت معارضة شرسة لفكرة تنصيبها، وكان من الممكن أن ترث هذا كله، ويبدو أنّ الأقطاب لا يريدون أن يخرج الوريث من صلب جليلة.

نظر شملان إلى الصورة، والتي كانت لجليلة أخته من أبيه، التي هجرت هذه العائلة منذ زمن طويل. وقال بعد أن شعر ببعض الغيرة:

- ألم تقل لا يوجد لديكَ من الأبناء سواي؟.

نظر إليه الشيخ بعينين متعبتين، وقال:

- هذا ما يقوله اللسان، في القلب أشياء ثابتة يتحكم بها الحب. حتى لو حاولنا تجاهلها، فإنّها تسيّرنا كيفما تشاء.

قفز الشيخ من مكانه ناهضاً، وراح يتلفت يميناً وشمالاً، ثم أخذ يتنفس بسرعة كبيرة واضعاً يده على صدره، وقال:

- زهران يُخاطرني، يقول إنّ الأمور باتت تخرج عن السيطرة، جشمان المتمرد يحاول أن يقتل ذلك المعتوه.

هبَّ شملان واقفاً وقال:

- أخبرني ما الذي أستطيع فعله؟

ردّ الشيخ الذي أصابه التعب قليلاً:

- دورنا على وشك الانتهاء، ليس أمامنا الآن سوى انتظار ما الذي سيحدث؟، وزهران قادر على قيادة دفة الأمور، أنا أثق به كثيراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

أتفحص الشوارع بشرود وقلق، وأنا أقود سيارتي متوجهاً إلى منطقة النزهة. أبحث بتركيز عالٍ جداً على تلك الأرقام الدالة على المنزل الذي توجهت إليه جميلة، والعنوان الذي كتب في الورقة، وأثناء ذلك رنّ هاتفي.. كان على الجانب الآخر من الخط ضابط الشرطة وهو يسألني إذا كان لديّ أيّ معلومات عن جميلة، وطبعاً بعد تردد طويل أجبته بالنفي، وحثّني على التعاون معهم؛ لأنّني ما زلتُ في دائرة الاتهام.

وقتها لم أكن آبه به بسبب تركيزي على ذلك العنوان، وتفكيري الذي يعصف خوفاً من أن تقوم جميلة بجريمة قتل أخرى، خاصة أنّها لا تتحكم بجسدها، ومخلوق غير مرئي يسيطر عليها بالكامل.

بعد فترة ليست بطويلة وصلت إلى العنوان، الذي كان عبارة عن منزل متوسط الحجم يبدو أنّه مجدد، وعندما ترجلت من السيارة وتوجهت ناحية الباب، رأيت أنّ الباب الخارجي كان مفتوحاً بشكل واضح. ضغطّت الجرس ووقفت لبرهة أنتظر الإجابة، ولم أجد أي رد. فكرتُ ملياً بالدخول، وفي نفس الوقت كنت متردداً، لأنني لا أريد أن أدخل بدون استئذان، أو خوفاً من إيقاع نفسي في المحظور، يكفي ما بي من مشاكل.

حتى بدأت أسمع جلبة قادمة من داخل البيت، ومن ثم بعض الصرخات، والتي على ما يبدو أنّها لرجل يحاول الاستنجاد. دقائق حتى قطعت حالة التردد، وتقدمت ناحية الباب الداخلي الذي كان خشبياً هو الآخر، لأجد نفس علامات الخدوش والمخالب التي كانت موجودة على باب حمام غرفتي، وعلامات التكسير أيضاً، وهي دلائل واضحة على أنّ جميلة مرت من هنا.

أخذتْ دقات قلبي بالتزايد لا شعورياً، تقدمت بحذر شديد، بدأت أنادي وأردد:

- هل من أحدٍ يسمعني؟، يا أصحاب البيت؟!!

لم أتلقَّ أي إجابة واضحة.

كنتُ حذراً جداً أترقب أي ردة فعل، أحاول إيجاد ما يدلني على جميلة، حتى بدأت صرخات الاستغاثة تتضح أكثر، هذه المرة كانت الأصوات قادمة من الطابق الأول، هذا ما سمعته الآن.

هرولتُ راكضاً نحو السلالم، لأجد نفسي قريباً جداً من الضوضاء، أتحسس بأذني تلك الجلبة والأصوات والاستغاثة حتى وصلت إلى إحدى الغرف. وعند دخولي إليها رأيت جميلة تقف عند أحد الدواليب الكبيرة، وهي تحاول تكسيره بطرقٍ مخيفة وحيوانية شرسة. كانت كالوحش الكاسر وبلا عقل، وأعتقد أنّ

شخصاَ كان يختبئ بداخله، وجميلة تحاول الوصول إليه. ما أخافني كثرة الدماء التي انتشرت في المكان، كأنَّ أحدهم كان ينزف. وطبعاً أوصلتني آثار الدماء إلى باب الخزانة التي تقف أمامها جميلة. رمقتني المرأة بتيْنكَ العينين المرعبتين، وراحت تصرخ بأعلى صوتها كأنّها تستغيث من شيء ما، لتتوقف عمّا تقوم به، متراجعة إلى الوراء وهي تضع يديها على عينيها كأنّها لا تريد النظر إليّ أو أنّها تتحاشاني. وبعد ذلك خارت قواها لتصطدم بحائط الغرفة وتسقط أرضاً، وهي تحمي عينيها بيدها.

كنتُ مذهولاً مما أرى بسبب ما يحصل لها!، ولا أنكر أنّ الخوف قد نخر عظامي نخراً، وأنني من الممكن أن أسقط في أيّ لحظة. والسؤال الذي بدأ يتردد داخلي: لماذا جميلة تقوم بهذه الأفعال؟ لماذا تتراجع عندما تراني؟

استمرَّ الموقف لدقائق ونحن الاثنان نقف في نفس المكان، أنا خائف ومتردد وجميلة تضع يديها على عينيها وهي في حالتها الهستيرية الغريبة. وبعد ذلك أحسست أنّ جميلة قد بدأت بالهدوء، واعتقدت أنّها قد عادت إلى حالتها الطبيعية. تشجعت ثم تقدمت خطوتين إلى الأمام تجاهها، وبالطبع اقتربتُ من الدولاب الذي كانت جميلة قبل قليل تقف أمامه، لكنّي سمعت بعض التأوهات تنبعث من داخله، لم أهتم كثيراً لذلك الصوت، وكان كل تركيزي على تلك الممسوسة. توقفت مرة أخرى وقلت:

- هل أنتِ بخير؟ أخبريني: هل الذي بداخلك ما يزال يسيطر عليك؟

وما أن انتهيتُ من جملتي حتى هبت واقفة أمام وجهي، وهي تضع يديها على عينيها، ثم اتجهت ناحيتي وهي تركض بكل قوتها. ارتعدت فرائصي من الخوف مرة أخرى، ارتبكتُ وارتفع عندي هرمون الأدرينالين، وما صدمني أنّ جميلة قد تجاوزتني وخرجت من الغرفة راكضة، أصابتني الدهشة من فعلها هذا!، لماذا تتحاشى مواجهتي؟

كنتُ أفكّر وقتها أن أتبعها وأرى ما تقوم به وإلى أين ذهبت؟، إلا أنّ التأوهات التي كانت صادرة من الدولاب هي ما جعلتني أقف لأتفحص ما يوجد بداخله. مددت يدي ناحية الباب وبدأت أقول:

- من بالداخل؟ هل أنتَ بخير؟

انتظرت الرد وانا أحاول فتحه، لأسمع بعض الكلمات المتعبة وصاحبها يقول:

- هل رحلت تلك المجنونة؟ لن أفتح حتى أتأكد من ذلك؟

أجبته قائلاً:

- لا تخف، لقد رحلت.

فُتح باب الدولاب، تفاجأت برجل متوسط الطول والبنية، لا أعرف كيف دخل وحُشر في هذه الخزانة، ووجهه وملابسه كلها ملطخة بالدماء، ليسقط على جسدي بعد أن خارت قواه.

لم يكن أمامي سوى أن أسنده على جسدي، وبعد ذلك تحركنا متوجهين نحو إحدى الكراسي الموجودة في الغرفة. لا أنكر أنني كنت متعباً جداً بسبب حالة الخوف والتوتر، والرجل كان يتنفس بشدة بسبب الإصابات التي لحقت به.

وما أن أجلسته على الكرسي، حتى بدت جروحه التي غطّت بعض مساحات وجهه، وبرزَ جرح كبير غائر على رقبته، وكانت الدماء تتدفق منه بشدة. انطلقت أبحث عن أي شيء في الغرفة أنظف به مكان الجروح وأوقف النزيف، لأجد بعض المناديل. بدأت بمحاولة معالجته بالطرق البدائية، وكان ذلك الرجل يئنّ من الألم، قلت له:

- سأطلب لكَ الإسعاف الآن، الأمر لا يحتمل التأخير

لم أجد أي إجابة، بسبب حالته المتعبة، اتصلت بالإسعاف وأعطيتهم العنوان، وما أن أغلقت الهاتف، حتى قال لي وهو يتنفس بشدة:

- لم أكن أتوقع أنني في يوم من الأيام سأراك يا عدنان!

لفت انتباهي معرفته باسمي، يا الله! الجميع يعرفونني وأنا لا أعلم!، ولم ألتقِ بهم في السابق، قلت له:

- هل تعرفني؟، لا أذكر أنني واجهتك في السابق!..

أجابني بتعب:

- كما قال لي ذلك الرجل العجوز، عدنان سينقذك، وها هي نبوءته تتحقق.

قلت له متسائلاً:

- من ذلك الرجل العجوز الذي تقصده؟

قال لي:

- ستعرف الحقيقة، إنك تقترب منها.

بقيتُ صامتاً، وكلّي فضول لمعرفة تلك الحقيقة التي يعرفها الجميع ولا أعرفها أنا، وبينما أنا على هذا الحال قال:

- خطئي الذي أنا الآن أدفع ثمنه، لن يصححه إلا أنت، السحر الذي فعلته لها مدفون في المقبرة، ولن يخرجه غيرك.

فتحتُ فمي دهشةً غير مدركٍ ما يقول هذا الرجل، عن أي سحر ومقبرة يتكلم؟، ثم قلت:

- ما الذي تقصده يا رجل؟، ما هذه الألغاز التي بدأت تظهر في حياتي؟، ولا أعرف كيف أحلها!

قال لي الرجل:

- سأحكي لكَ الآن قصتي مع جميلة، وكيف وصلتْ إلى هذا الحال، ليس لدي وقت طويل لأجيب على كل أسئلتك الأخرى، لا بد أن تسمعني الآن جيداً، وتفهم ما هي مهمتك القادمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

أشعر بحالة من البعثرة النفسية، وعدم التركيز بسبب الكوارث التي أمرّ بها، وكل ما فهمته أنّ هذا الرجل يعرف جميلة جيداً، ولم يكن مجيء هذه الممسوسة إلى هنا بالصدفة. والأسئلة التي برأسي كثيرة ومحيرة: لماذا جميلة تقوم بمهاجمة كل هؤلاء؟، ولماذا أنا موجود في هذه الحكاية التي لم أعرف حتى الآن رأسها من ذيلها؟ قاطعني ذلك الرجل وقال:

- اسمي فيصل، وأنا الذي أوصلَ جميله إلى هذه الحالة، بسبب أعمال السحر التي قد عملتها لها، عند أحد الدجّالين، ولم أكن أعلم أنّها ستصل إلى هذا الحال. صدقني كنت أحبها كثيراً.

قاطعته قائلاً:

- ولماذا قمتَ بعمل سحر لها، وأنت تقول أنّك تحبها وهي تحبك؟

صمتُّ لثوانٍ أفكر، ثم قلت:

- الذي أعرفه أنّ جميلة متزوجة!! وقامت بقتل زوجها.

قال لي فيصل:

- قبل 5 سنوات كنت على علاقة مع جميلة، وقد اتفقنا نحن الاثنان على الزواج، وقمت أيضاً بالتقدم إليها، غير أنّ والدها رفض أن أتزوجها بحجة أنني لستُ ذا أصول معروفة، وعائلتهم ترفض أن تناسب إلا شخصاً من أصول رفيعة ومعروفة، ولا يهمهم أخلاق هذا الشخص وسمعته، ما يهمّ أنّ لديهم أصولاً متجذرة، ولها امتدادات تاريخية، وأنا من عائلة ميسورة الحال والحمد الله سمعتنا جيدة، ولكن حسب كلام والدها آنذاك فإنّ عائلتنا ليس لديها جذور تاريخية أصيلة.

توقف بعد أن شعر بألم جرحه الكبير الذي في رقبته، ثم أكمل وقال:

- كنتُ متوقعاً أنّ جميلة ستقف في وجه والدها، والذي فاجأني أنّها استسلمت سريعاً، رغم حبي لها والمدة الطويلة التي كنت أعرفها خلالها. والذي صدمني أنّها استسلمت سريعاً دون أي مقاومة.

- ليس لنا نصيب ببعضنا، لابد أن نرضى بالواقع، أتمنى أن تجد لكَ زوجة أفضل مني، وكنت متوقعة هذه النهاية من البداية.

حالة استسلامها الغريبة، جعلتني أشعر أنّ جزءاً من كرامتي قد انتقصت، وتأكدتُ أنّها لم تكن تحبني مثلما كنت أعشقها، وكل ما في الأمر أنّها كانت تعيش حالة حب مراهقة، ينهار عند أول عاصفة صغيرة. انتهى كل شيء بيننا،

ورضيت بالأمر الواقع، وبدأتُ أعيش حياتي من جديد، وللأسف فإنّ حب جميلة لم يخرج من داخلي، وقلبي رفضَ جميع النساء الذين قابلتهم بعد ذلك، فهيَ ما تزال تعيش بداخلي. بعض أنواع الحب يصبح كالمرض الذي تتمنى ألّا تشفى منه، وتعلم جيداً بنفس الوقت أنّه سيقضي عليك.

وحب جميلة يا عدنان كان من هذا النوع، كان مرضاً قد تفشى في جميع أوصالي، أدمنتها في كل شيء، ولم تغب عن ذهني لحظة، حتى سمعت خبر زواجها، الذي جعلني في حالة هذيان، حالة جنون، أسير وأكلّم نفسي. لم أرضَ أن تبيتَ هذه المرأة في حضن غيري. شيء كان يحركني من الداخل، أريد أن أعود مجدداً إليها، أن أسمع صوتها، أحبّها وتحبني. كنتُ مستعداً وقتها لفعل أي شيء من أجل أن تقول لي: أحبك..

الرجال بعض الأحيان تصيبهم حالة غريبة عندما يعلمون أنّ من يحبّون موجودون مع رجل آخر، تشعر حينذاك أنّ كل تعبك قد فاز به رجلٌ آخر، كل بنائكَ الذي قمت به قد سكن فيه شخص آخر بكل سهولة! بمجرد أن تتخيل أنّ محبوبتك في حضن غيرك، تشعر أنّ النيران تستعر بداخلك، ترى الدنيا بعينك صغيرة جداً، الحياة التي كانت مملوءة بالحبيبة، أصبحت الآن فارغة.. صوتها الذي كان ينعشك كل يوم، لا تسمعهُ الآن.. كلمة أحبكَ التي تسمعها منها، باتت تقولها لغيرك.. مشاعر لا تقبلها أبداً، ومستعد أن تفعل أي شيء حتى لو وصل الأمر إلى القتل، لأجل ألّا تراها بيد غيرك. أصحبتُ كالمختل الذي لا عقل له!

لم يكن لديّ من الحيلة وقتها سوى المراقبة. كنت أراقب كل تحركاتها.. مراقبة شخص كنت تحبّه ورحل عنك أشبه بالموت البطيء، وهذا ما كنت أفعله. حتى حصل شيء قبل عام من الآن، عندما قام بإضافتي على أحد حساباتي في مواقع التواصل الاجتماعي، شخص يدّعي أنّه رجل روحاني، من خلال إعلانه الذي لفتَ انتباهي، وذكر فيه أنّه قادر على جلب الحبيب الذي رحل بدون سبب.

لم أفكّر وقتها بأي شيء سوى أن أتواصل مع هذا الشخص. وكنتُ مستعداً لفعل أي شيء؛ فما يهمّ هو إرجاع جميلة إليّ صاغرة نادمة على كل ما قامت به من أمور كسرت كرامتي وعزتي بنفسي.

وبسبب الدماء التي ما تزال تتدفق منه أصبح يتنفس بصعوبة.. كنّا في انتظار سيارة الإسعاف حتى تنقله إلى المستشفى، وطلبت منه وقتها أن يكف على الكلام، وأن يكمل القصة بعد أن يُشفى، ليرفض بقوة قائلاً:

- الأمر يا عدنان لا يتحمّل أي تأخير، لابدّ من إنقاذ جميلة وإخراج ذلك الشيء الذي بداخلها.

ثم بعد ذلك أكمل الحكاية:

- تواصلت مع هذا الشخص، والذي اكتشفت أنّه امرأة تعيش في إحدى المناطق البعيدة. وطبعاً لم تكشف عن شخصيتها إلا بعد أن تأكدتْ أنّه بالفعل لديّ مشكلة وأريد حلها من خلال تعاملها مع كائنات غير مرئية. لم أعبأ بكل ذلك، كان وقتها تفكيري مشلولاً، ومنصبّاً على كيفية إرجاع جميلة، ودفعت لها كل المبالغ التي طلبتها، وجلبت لها بعض الأشياء التي أرادتها مني، وتمّ إنجاز السحر، وجاءت ساعة التنفيذ، بعد أن طلبت مني أخذ السحر إلى مقبرة (صبحان)، ودلتني على مكان قبر قديم جداً، لأدفنه فيه حتى يبدأ مفعول السحر على جميلة، وتعود إليّ صاغرة ومنكسرة، ولا تفكر برجل سواي، والذي جعل الأمور ميسَّرة أنَّ والدها قد توفيَ، وهذا ما جعلني أقرّر الزواج منها، وأيضاً أسترد كرامتي.

وقمتُ بفعل ما طلبتهُ مني تلك المرأة الساحرة، ودفنتُ الشيء المسحور في المقبرة، في المكان الذي اختارته. وأذكر جيداً أنّه في يوم خروجي من منزلها، وقع شيء في البداية لم أكن مكترثاً له، وذلك عندما قابلت رجلاً عجوزاً أسمر البشرة. في البداية كان ينظر إليّ بطريقة غريبة، ثم بعد ذلك نادى باسمي.

استدرت ناحيته، وقلت له:

- من أنت؟ وكيف عرفت اسمي؟

الغريب في الأمر أنّه بعد مناداته باسمي، ذكر اسم والدتي بعده، وقال بنبرة حادة:

- مشكلتك أنكَ تعبث بالأمور الخطأ، ومن تتعامل معها ليست سوى سويحرة صغيرة، هي الأخرى لا تعرف مع مَن تتعامل؟، ستنقلب الأمور على أعقابها، وعندما يحل ذلك لن تجد من ينقذك غيري.

ابتعدَ الرجل عني بهدوء، كنت مشدوهاً أفكر في كلام هذا العجوز، ولا أعرف ما الذي يقصده؟، ليظهر فجأة شاب يافع، على ما يبدو أنّه في العشرينات من عمره، وأعطاني ورقة وقال:

- بعد أن ترى نتائج فعلتك، العنوان الموجود في الورقة هو ما سيخرجك من هذا كله.

تركني هو الآخر واختفى فجأة، كنتُ ألتفتُ حولي باحثاً عنهما، غير أنني لم أجد لهما أي أثر.

لم أفهم ما كانا يرميان إليه!، كنت وقتها أفكر فقط بجميلة، وبتنفيذ ما بدأتُ به، وانتظار النتائج، لتمرّ ثلاثة أسابيع دون أن أرى أي نتيجة. أحسستُ وقتها أنّ تلك الساحرة مجرد دجالة، هدفها فقط كيفية الحصول على نقودي. وفي ليلة ما حلمتُ بشيء غريب جداً، برجل يبدو لي للوهلة الأولى أنّه من رجال العقود القديمة، يرتدي ملابس عربية قديمة، ضخم البنية، طويل القامة، لا يظهر من وجهه سوى عينيه الحادتين وقال:

- لياليك القادمة لن تكون على ما يرام، لن ينقذك سوى رجل واحد.

قاطعته وقلت:

- هل تقصد الشيخ زهران

أجابني بتعب:

- نعم إنّه زهران الذي ظهر لي، وذكر لي اسمك.

أذكر أنني استيقظت من نومي، وأدركت أنّ الحلم ليس حلماً، بل أعتقد أنّه حقيقة جلية، بسبب وضوحه. ولم أهتمّ.. قلتُ أنّه مجرد حلم طارئ يحصل مع الكثيرين. وبدأت تحصل الأحداث الغريبة حينها، أولها عندما كنت أقف أمام مرآة دورة المياه، رأيتُ خيالاً مرَّ سريعاً من خلفي، وكالعادة في مثل هذه المواقف نقول إنّها مجرد أوهام؛ لأنّنا لا نريد تصديق الحقيقة المخيفة، لأكمل ما بدأت به. وفي نفس المكان وفي اليوم التالي عندما كنت أستحم، تصورت أنَّ هناك شيئاً موجودٌ معي في الحمام كما حدث لي ليلة أمس. وأول علامات الغرابة أنّ الماء قد ازدادت سخونته، قمت بعدها بتخفيفه، ليعود الماء ساخناً مرة أخرى من تلقاء نفسه، وبدأ البخار يتصاعد في الحمام بكثافة. حاولت إعادة الماء إلى وضعه الطبيعي، والكارثة أنّ المقبض قد علق ولم أستطع تحريكه أبداً.. بدأت أختنق بسبب كثرة البخار وسخونة الأجواء، فذهبت متوجهاً إلى الباب، محاولاً الخروج.

والأمور كانت غير منطقية أبداً.. أحسستُ بيد ما قد وضعت على كتفي لتجذبني وتجعلني ثابتاً مكاني لا أستطيع الحركة.. الخوف قد أحاط بي وقتها من كل جانب، لم يكن أمامي سوى المقاومة، والأجواء المحيطة بي كانت خانقة وحارة، وبين شد وجذب استطعت التخلص من قبضة ذلك الشيء الذي يثبتني، وفتحت الباب أيضاً بعد مقاومة عنيدة، ومن ثمّ ارتميت على إحدى الكراسي القريبة ألهثُ بشدة من التعب، وصدري يكاد ينفجر من شدة الاختناق.

لم أكن أتصور أنّ الأمر مجرد صدفة، ووقتها لم يكن أمامي أي شيء أتمسك به سوى أن أرضى بالأمر الواقع، وأعتقد أنّه قدري لا أكثر ولا أقل. لم تتوقف

الأشياء الغريبة بعد ذلك، عندما وقع أمر آخر، فقد كنت أقود مركبتي في إحدى الليالي عائداً إلى المنزل، بعد أن حاولت تحريك مقود سيارتي الذي أصبح هو الآخر عالقاً لا يتحرك لا يميناً ولا شمالاً، وكأنّه قدمٌ أخرى تضغط بقوة على دواسة الوقود. تزايدت سرعة السيارة بشكل مجنون، فيما أنا فقدت القدرة على السيطرة عليها، وكل شيء حولي بات مظلماً! لا أنكر أنني في تلك اللحظات رأيت الموت أمامي، وأشكر الله أنّه لم تكن في الشارع وقتها أيٌّ من المركبات. بعد لحظات الرعب تلك، عادت الأمور إلى مجراها، إذ توقفت بعد تلك الحالة المخيفة جانباً، أتنفس الصعداء وأفكر ملياً أنّ الذي جرى لي ليس محض صدفة أبداً .

ليلة الحمام، وحادثة اليوم، وتثبيت مقود السيارة، كلها أمور لم تكن إلا بتدبير من أحدٍ يريد قتلي، وما أن وصلتُ إلى بيتي، حتى تفاجأت بوجود جميلة في فناء منزلي هذا الذي أعيش به لوحدي منذ سنوات، وهي تنظر إليّ بكل غضب، وما أن نطقتْ حتى ذابت مفاصلي كلها وسقطتُ على الأرض من شدة الخوف، بسبب ذلك الصوت الذي خرج منها وقتها! كان صوتاً خشناً، مرعباً، رجولياً، وهو يقول لي:

- لا تفكر بجميلة نهائياً وابتعد عنها، إذا حاولت الاقتراب ستموت لا محالة.

لم أجد أي تفسير لهذه الوقائع، وعرفت أنّ شيئاً غير عادي يريد إيذائي والقضاء عليّ.

بدأت أتقصى أخبار جميلة من بعيد؛ خوفاً من تلك الأمور الغريبة التي باتت تهدد حياتي، وقد اكتشفت أنّها تمر بحالة غير طبيعية بسبب تصرفاتها الغريبة، وفهمتُ شيئاً واحداً: أنّ القصة كلها مرتبطة بتلك الساحرة التي ذهبت إليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11

أنت تتعامل مع سويحرة.

تلك الجملة هي التي كانت تتردد في داخلي، جملة ذلك العجوز أسمر البشرة الذي رأيته أول مرة بعد خروجي من منزل تلك الدجالة، بعد أن اكتشفت الحقيقة، وطبعاً لم أتردد لحظة في الذهاب إليها من أجل معرفة ماذا حلّ بي؟، وسبب تلك الأحداث الغامضة والمخيفة التي جعلتني في حيرة من أمري!

فيصل يزداد تعبه، أخذ نفساً عميقاً ثم أكمل:

بعد أن وصلت إلى منزل تلك الساحرة، وجدت أنّها هي الأخرى في حالة يرثى لها، وفهمتُ من أهلها أنّها مصابة بعد مهاجمة شيء غريب لها، ورفضوا أيضاً أن أقابلها بحجة أنّها مريضة، ولم أقبل تلك الحجج، وكنت مصرّاً على الدخول إليها، وقمت بتهديدهم في حال رفضهم لطلبي مقابلتها أنني سأدخل بالقوة.

وما أن دخلتُ حتى رأيت شيئاً مرعباً! الساحرة بالكاد أرى ملامحها بسبب التشويه الذي ألمَّ بها، وبسبب الضمادات الكثيرة التي لفّت على رأسها ووجهها وأجزاء من ذراعيها. استغربت كثيراً، وقلت للحاضرين: من الذي فعل بها كل هذا؟

قال أحد الرجال الذين يعملون معها، أنّهم بعد أن استيقظوا من النوم وجدوها على هذا الحال، ولا يعرفون أي شيء، كل ما كانت ترددده:

- لن يرتاح حتى يقضي على كل من يقترب منها.

وحاولنا وقتها إسعافها، غير أنّها رفضت، وكما ترى يبدو أنّها تلفظ أنفاسها الأخيرة.

تكلمت الساحرة بصوت متعب، وقالت:

- لقد عبثنا بالشيء بالخطأ، وجلبنا مخلوقاً أقوى من قدراتنا. ابتعد يا فيصل عن طريقهم، وإياك أن تقترب منهما: جشمان عشق جميلة، وبات يسكن جسدها، والاقتراب منها يعني موتك، وكل الأحداث التي حصلت لك في الأيام الماضية ما هي إلا رسائل من ذلك الشيطان الذي تلبَّس جميلة.

قلت متسائلاً:

- ما الذي طرأ؟ وكيف لي أن أخلّص جميلة من جشمان؟

أجابت بصوتها المريض:

- انقلبَ سحري عليّ، الأمر فوق طاقتي، لن يخلصك من هذا إلا الشيخ عزام، الذي يعرف تماماً كيف يتعامل مع هذه المخلوقات الشريرة.

قلت لها:

- من تقصدين بالشيخ عزام؟

أجابتني:

- العجوز الأسمر الذي قابلته يوم خروجك من منزلي، لن أساعدك بأي شيء، الأمور خرجت عن السيطرة.

لم أفكر وقتها لحظة واحدة في تأخير أي شيء، وانطلقت مباشرة إلى منزل ذلك العجوز في منطقة الشامية، بعد أن أخرجت الورقة التي أخذتها من الشاب الذي قابلني بعد ذهاب عزام. وما أن دخلتُ عنده، حتى وجدت ذلك الفتى الذي كان يرافقه،و في عينيهِ ارتسمت ملامح الانتصار، وكأنّه يريد أن يقول لي: ألم أقل لك: ستجد إجاباتك لدنيا.

و في أول لحظة دخلت فيها عنده، كان ذلك العجوز، أيضاً متعب، وكانّه يعاني من مرض قد أثقلَ كاهله، ويبدو أنّه يعيش أيامه الأخيرة، وطبعاً عرفني مباشرة، وقال لي تلك الجملة:

- هل تأكدت الآن أنكَ تتعامل مع سويحرة؟

قلت له:

- خلّصني ممّا أنا به، حياتي وحياة جميلة في خطر.

قاطعني وقال:

- ليست حياتك فقط، بل حياة كل من يقترب من جميلة، أو يحاول التقرب منها، غداً سيموت زوج جميلة على يد جشمان، وربما أنت القادم بعده، إذا لم تستنجد بعدنان لكي ينقذك.

قاطعته قائلاً:

- من المدعو: جشمان؟

قال لي:

- شيطان متمرد، ارتدَّ عن قوانين العالم السفلي، وعشقَ إنسيّة، لا يريد الانصياع لذلك العالم.

العالم السلفي له قوانينه الخاصة، التي لا تتحمّل أي تجاوز، والمتمرد مصيره الترويض، ولدنيا طرقنا الخاصة. احذر المكائد والأخطار التي تحوم حولك، إذا لم ينصَعْ فإنّه يقتل بكل بوحشية.

وضعتُ يدي على رأسي وقلت:

- الجميع يقولون الحل بيدك، وأنت القادر الوحيد على تخليصي منه.

قال وهو يتنفس بصعوبة من ذلك الأنبوب البلاستيكي الدقيق..

- بالفعل، أنا هو القادر على ذلك، وجشمان متمردٌ كبير، تمرَّد على أتباعه، ووريثي هو عدنان، وحالياً هو في طور التجهيز ليقوم بتلك المهمة، سيزورك خلال الأيام القادمة وينقذك.

قلت له والشك والحيرة يكادان يقتلاني:

- ليس أمامي سوى الانتظار، أأنت متأكد أنّه لن يصيبني أي مكروه؟

أجابني بهدوء:

- انتظر.. العلامات تقول أنّ عدنان هو المنقذ، وهو القادر على ترويض جشمان، وزهران خلفكما..،الذي نخافه تلك الدقائق والساعات التي من الممكن أن تغيّر القدر في أيّ لحظة.

خرجتُ من بيته والخوف والقلق ينهشاني نهشاً، كنتُ متوقعاً حدوثَ أي شيء غير عادي، وهجوم من ذلك الكائن الغريب الذي يسكن جميلة. لم تذق عيني طعم النوم منذ ذلك اليوم، والذي صدمني كثيراً قبل يومين، خبر قتل جميلة لزوجها، وهو ما جعلني أتساءل: هل أنا القادم؟

توقف عن الكلام، ثم بدأ ينظر إلى السقف بعينيه المتعبتين. قلت له بعد ذلك:

- هل انتهى كل شيء إلى هذا الحد؟

أدار رأسه بصعوبة، وقال:

- هجومها المباغت عليّ في المنزل، بعدما كنتُ للتو خارجاً من غرفة نومي لأجدها تقف أمامي بذلك الشعر المنثور، والوجه الشاحب، والعينين الغاضبتين، لتقول تلك الكلمات غير الواضحة بصوت ذلك الذي يحتل جسدها:

- ألا تريد إخراج جميلة من رأسك؟

كنتُ أنظر إليها بخوف شديد، تراجعتُ إلى الوراء بتلقائية، بسبب ما أشعر به. ثم سمعته يقول مرة أخرى:

- أعرف كيف أخرجها من رأسك، كما أخرجتُها من رؤوس الباقين.

دخلتُ إلى هذه الغرفة التي نحنُ فيها الآن، ثم أغلقت الباب خلفي جيداً، راحت هذه المجنونة تضربه بكل عنف، ولا أعرف من أين جاءت بكل هذه القوة، كأنّ معها عشرة رجال، ثم حطمت الباب بالشكل الذي تراه أمامك، بتلك المخالب، انقضّت عليّ، بعد أن ضربتني بشيء كانت تحمله في يدها على رأسي.. فقدتُ توازني، لتتثبَّت بي غارسة مخالبها في رقبتي. انتابني شعور الفريسة التي لا حول لها ولا قوة، ثم بعد ذلك سمعتُ صوت جرس الباب، وفي هذه اللحظة قلّ تركيزها، فقمت باستغلال الفرصة ودفعتُها بعيداً عني، وتوجهتُ إلى الدولاب الذي رأيتني داخلهُ. أغلقتُ الباب خلفي محاولاً الاختباء، ألا أنّها تبعتني وراحت تضرب بكل قوة على الباب محاولة تحطيمه، ووجودك أنقذ الموقف.

في هذه اللحظة، طلبت منه الهدوء وقلت له:

- اهدأ الآن، بعد قليل ستصل سيارة الإسعاف وتنقلك إلى المستشفى، حتى يقوموا بعلاجك.

نظر إليَّ بملامح يائسة وهو يقول:

- الآن فهمت كلمات العجوز عزام عندما قال: الدقائق والساعات تغيّر القدر، لو أنَّك أتيتَ قبل هذا الوقت؛ لما استطاع الذي بداخل جميلة الانقضاض عليّ.

قلت له:

- لا تيْئَس، ما زالت الفرصة موجودة، اليائسون تقتلهم الحياة بطرق مختلفة، تمسَّك بالأمل الموجود.

قمتُ بمسح الدماء الكثيرة التي كانت على وجهه ورقبته، ثم قمت بالبحث عن الماء حتى أستطيع تقويته به، وأثناء بحثي سمعت همساً في أذني، وكأنّي أعرف هذا الصوت..وهو يردد:

- عدنان إنّه خلفك، انتبه، الغادرون لا يأتون من الأمام.

لم أفهم هذه الجملة في البداية، إلا بعدما تفاجأتُ بتلك المخالب التي انغرست في ظهري، ومن قوة الألم صرختُ بصوت عالٍ، لأجد جميلة تقف بهيئتها الوحشية خلفي. اعتراني الغيظ والغضب بسبب تلك الضربة الغادرة، ومن شدة الألم أحسستُ أنَّ عينيَّ تكادان تخرجان من محجريهما، فقلت لها بصوت عالٍ:

- تباً لكِ أيتها الساقطة

ووضعت قوة عيني في عينها، لأجدها تضع يديها على عينيها بكل خوف، تتحاشى النظر إليّ. ثمّ خرج شيء من العدم، إنّه الرجل ذو الملامح العربية القديمة ينظر إليّ بكل هدوء. إنّه الشيخ زهران، هذه هي المرة الأولى التي أشاهده فيها أمامي على أرض الواقع، وهو يردد تلك الكلمات:

- الأمر لا يتحمل التأخير يا عدنان، اذهب إلى المقبرة،، تزداد قوة جشمان، إنّه يفرض سيطرته، انطلقْ قبل الغروب إلى المقبرة التي ذكرها لك فيصل، وأخرجْ ذلك السحر الذي دفنه في ذلك المكان، وبعدها نستطيع القضاء عليه. إنّه يستمد قوته من الطلاسم المدفونة عند الضريح، كل ما عليك هو إخراجُ السحر وفكّه. اذهب الليلة قبل الغروب، ونفّذ تلك الطقوس.

قلت له: أنا أتألم من الجرح الذي أصابتني به..

- لا أعرف المكان الذي يقصده فيصل.

أجابني بهدوئه المعتاد:

- ستجد الحارس القديم في المقبرة في انتظارك، سيقوم بإخراج السحر معك،ولا تتعامل مع أي بشري آخر سواه.

قاطعَ زهران لحظات تفكيري مرة أخرى، وقال:

- الأمر لا يتحمّل التأخير يا عدنان، الحارس القديم سيدلك على كل شيء، إنّه من الأعوان والحراس المطيعين، بمجرد أن تراه يدبّ على الأرض ستعرفهُ ويعرفك، لا تتأخر كثيراً، وإيَّاك أن يراك أحد من العاملين هناك، تسلّح بالشجاعة والجرأة، جميلة الآن في حالة خمول، دعها ونحن نتصرف معها.

ليختفيَ من أمامي بشكل سريع!

كانت جميلة قد سقطت على الأرض مغمى عليها، لا أعرف ما الذي حل بها؟، توجهت ناحية فيصل لأجده ما يزال على قيد الحياة، ويتألم بسبب تلك الإصابات البالغة، وقلت له:

- اعذرني يا فيصل، أنا الآن مضطر إلى الرحيل، أمامي مهمة صعبة، متأكد أنّ سيارة الإسعاف ستصل الآن لتنقذك ممّا أنتَ فيه.

هزَّ رأسه كأنّه يقول لي: لا عليكـ اذهبْ.. سأتدبر أمري

كنت متردداً ما بين الرحيل والبقاء من أجل انتظار سيارة الإسعاف، حتى أتأكد من ذهابه معهم، أسيرُ بخطوات تتقدم ثم تتأخر. قطعَ لحظات التفكير تلك وجود زهران مرة أخرى في المكان وقال:

- ماذا تنتظر؟ ألم أقل لك: الوضع لا يتحمّل أي تأخير؟

قلت له: أنا أرى تلك الهيبة الكبيرة التي أمامي..

- لا أستطيع الرحيل حتى أطمئنّ على فيصل..

أجابني بصوت غاضب:

- بالتضحيات تُنجز المهمات

لم أفهم تلك الجملة، وقلت:

- ماذا تقصد بكلامك هذا؟، لم أفهم شيئاً!

أجابني بغموضهِ المعتاد:

- لديك مهمّة أكبر من تلك، فيصل سنتدبر أمره، جهّز نفسك للمهمة القادمة، وأنتَ لن تفعل له أيّ شيء، وتذكّر: إنّ التضحيات تنجز المهمات.

كما هي عادتهُ، تركني ورحل دون أي كلمة أخرى، هذا الضخم دائماً ما يقول أشياء ناقصة، كنت مُجبراً على الرحيل، وأنا في حالة لا أدرك فيها ما يحصل حولي!.

أنظرُ إلى حال فيصل السيئة، ولا بدّ لي من الذهاب لتجهيز نفسي. ليس أمامي وقت كافٍ للانتظار أكثر من ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

الساعة كانت تشير إلى الثانية بعد الظهر، كنت وقتها أجلس في منزلي بعد أن اغتسلت من الدماء التي لطختني من إصابات فيصل، ومن إصابتي التي تعرضتُ إليها من ضربة ما بداخل جميلة لي، أنتظر مرور الساعات حتى أذهب إلى تلك المقبرة من أجل تنفيذ المهمة الصعبة التي طلبها مني زهران.

وطبعاً حال فيصل، وما الذي حصل له، لم يغب عن ذهني دقيقة، خاصة أنني تركت جميلة معه وهي مغمىً عليها. الأمر أصبح بالنسبة لي كومة من الألغاز التي تحتاج منّي تفكيراً سديداً من أجل إنجاز المهمة القادمة.

لا أنكر أنني كنت خائفاً جداً، كيف لشخص مثلي أن يتعامل مع مثل هذه الأمور؟، كيف لي أن أجلس وسط القبور في مثل هذا الوقت؟، لا أدري من يكون ذلك الحارس القديم الذي سيساعدني! هل هو أحد أنواع الجنّ؟ لا أعلم.. يكفي ما حلَّ بي في الأيام الماضية العصيبة، أعصابي تكاد أن تنهار.

سمعتُ طرقات على الباب، توجهت لأجد والدتي تقف خلفه، وقالت لي:

- حان موعدك يا ولدي، أشفقُ عليك كثيراً، وفي نفس الوقت أرى أنّه المكتوب

قلت لها مقاطعاً حديثها:

- ماذا تقصدين يا أمي؟، ممَّ تشفقين؟، هل إحساسكِ يقول لك أنني سأتعرض إلى مكروه ما؟.

أجابتني بهدوء لم أعتده منها من قبل، خاصة أنّ والدتي من النوع المتذمر:

- المكروه شيء نجلبه لأنفسنا، لكنّ القدر مكتوب ونذهب إليه طواعيةً، ويبدو أنّ الأيام القادمة تحمل لك الكثير من المهمات والمفاجآت.

قلت لها:

- هل تخفين عنّي شيئاً يا أمي؟ أنا حالياً في وضع مختلف جداً، لستُ ذلك الشخص الذي عهدتني عليه.

كان وجه أمي حزيناً جداً، ويؤكد لي أنّها ليست على وضعها الطبيعي. قاطعتني قائلة:

- لا أجد أيّ إجابة عمّا تسأل، كل ما عليّ فعله الآن أن أدعو لك بنجاح مهمتك القادمة.

عرفت أنّها تعلم بما أنوي القيام به، ولم أتجرأ على أن أصارحها بشيء، وأكملتْ حديثها:

- أعلم جيداً أنّ القرار ليس قرارك، وهذا هو العرف السائد لدنيا.

قلت لها:

- ماذا تقصدين؟

وقبل أن تجيب على سؤالي بدأ هاتفي النقال بالرنين، نظرت لأرى المتصل، إنّه ضابط الشرطة، أحسستُ بضيق في نفسي من كثرة اتصالاتهم المزعجة. يبدو أنّهم قد عرفوا الطريق إليّ، ولن يتركوني لحظة.

وعند الإجابة عليه قال:

- أرجو منك يا سيد عدنان مراجعتنا صباح الغد في قسم الشرطة، بعض الأمور قد استجدت في ملف الجريمة.

قلت له مستفسراً:

- هل وقع شيء آخر؟

طبعاً أجبته بتلك الطريقة حتى أبيّن له أنني لا أعلم أي شيء عن الحادثة التي وقعت بيني وبين فيصل، في حال كانوا قد اكتشفوها..

أجابني بصوته الأجش:

- في جرائم مثل هذه، تطرأ مستجدات كثيرة في كل وقت وبأي لحظة، وكونكَ في دائرة الاتهام لابدّ من وجودك غداً، حتى نتأكد من بعض الأمور، وأرجو منك التعاون الكامل والشامل معنا، وإخفاء أي حقيقة ليست في صالحك.

وقبل أن أغلق الخط معه، بيَّنت له أنني عونٌ لهم، وقد أقحِمْتُ في هذه الجريمة بطريقة غريبة جداً.

وما أن أغلقتُ الهاتف، حتى قالت لي والدتي التي كانت جالسة بجانبي:

- لم يتبقَّ على مهمتك القادمة سوى القليل جداً،حاولْ أنْ تجهز نفسك ذهنياً ونفسياً، والأهم: روحياً. البدايات دائماً صعبة.

نظرتُ إليها بدهشة بعد سماعي تلك الكلمات، التي تؤكد أنّ والدتي لها علم بما يجري. وقلت:

- أمي، هل تعرفين شيئاً وتخفينه عني؟، أنا الآن بحاجة كبيرة إليكِ.

لم تجب على سؤالي، بل تركتني وراحت تسير بخطواتها الهادئة نحو الباب، وكررتُ عليها السؤال، ولم أجد منها أي إجابة!

الحيرة والخوف هما اللذان يتصدران المشهد العام في داخلي، والساعة بدأت تقترب كثيراً من موعد الغروب، لا أعلم كيف أتعامل مع هذا الموقف؟، وشيء بداخلي يقول لي إنّني مقبلٌ على ساعات مرعبة وشائكة. ارتديت ملابس رياضية لمساعدتي على الحركة، وتسلحتُ بسكين لأتعامل مع أي ظرف طارئ من الممكن أن أواجهه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

قرص الشمس أراهُ من بعيد يغوص ما بين المباني، وأنا أتقدّم بسيارتي متوجهاً ناحية مقبرة (صبحان)، والعديد من السيناريوهات المرعبة تجول بداخلي. أفكر في القادم الذي سأواجهه، فالمقابر بعد غروب الشمس على استعداد لخطف عقلك بمجرد أن ترى شواهد القبور وهي متلحفة بسواد الليل.

أوقفت سيارتي بعيداً عن البوابة الرئيسية حتى لا يراني حراس المقبرة، انتظرتُ أن يسود الظلام بشكل أكثر حتى أتستر خلفه، ترجلتُ من مركبتي محاولاً التهيؤ بشكل جيد للمهمة، متفحصاً المكان الذي أنوي الدخول إليه، فالمقابر في هذا الوقت تغلق أبوابها أمام جميع الزوار، ومحاولة دخولي يعني أنني أريد أن أقوم بأعمال مخالفة.

حلّ الليل بظلامه الدامس ليطمس ملامح وجودي، تقدمتُ بسيارتي ناحية السور، حتى تسهل عليّ عملية العبور فوقه، ومن ثم القفز إلى الداخل، لا أنكر أنّ كل جزء من جسدي ينبض من الخوف، وفكرة التراجع كانت تراودني ما بين الحين والآخر، وصوت بداخلي يلح عليّ لإكمال تلك المهمة المفزعة.

وما أن أصبحتُ فوق السور، حتى بانت لي من بعيد ملامح القبور، وتهيَّأ لي أنَّ تلك الشواهد التي ارتسمت عليها وجوه من تحتها كانت تنظر إليّ بغضب، لأنني استبحت حرمتها، كوني زائراً متطفلاً وغير مرحب به في هذا الوقت. سرت قشعريرة باردة في جسدي، غير أنَّ جميع أطرافي كانت ترتعش منذ أن وصلتُ إلى هذا المكان، وحواسي كانت في أوج عملها، متحفزة لأي شيء من الممكن ظهوره خلسة.

قفزتُ من أعلى السور إلى داخل المقبرة. بدأت مشاعري تتضارب من الداخل، وأنفاسي تتصاعد، لأنني أصبحتُ الآن في مواجهة عالم جديد لم أتعامل معه في السابق. الظلام كان هو ما يسير معي، وبالكاد أرى أمامي، أتحسس خطاي بتركيز عالٍ خوفاً من التعثر بأي شيء.

كنتُ تائهاً لا أعلم ما العمل!، كل ما أعرفه أنّه لابد لي من التوجّه ناحية ذلك القبر الذي دفن فيصل بجانبه السحر، وفي نفس الوقت لا أعلم مكانه!، وكل ما أذكره أنني سأواجه حارس المقبرة القديم الذي أخبرني عنه زهران، ولا أعرف ما هو شكل ذلك الحارس؟، وأين هو الآن؟

تذكرتُ هاتفي النقال الذي ما يزال يعمل في جيبي، ومن ثم أخرجته وقمت بتشغيل إضاءته حتى تتسنّى لي الرؤية. تقدمت بخطوات مترددة داخل المقبرة مستكشفاً بذلك الضوء ما هو أمامي، وأنفاسي ما تزال تتسارع.. كنتُ

متحفزاً لأي طارئ، ويرافقني المجهول الذي من الممكن أن يقفز أمامي في أية لحظة.

مرّ الوقت ثقيلاً وبطيئاً، ثم انتبهتُ إلى أنّ شيئاً غريباً يظهر تحت قدمي. توقفت عن السير محاولاً اكتشاف ذلك الشعور: هل هو حقيقي؟ أم أنّها هلاوس الخوف التي من الممكن أن توجّج تخيّلاتك، خاصة في هذا المكان وهذا الوقت بالتحديد، فالأمر كفيل بجعل خيالك خصباً، وبدفعكَ إلى أن تتوهّم أشياء وكائنات مرعبة.

شيءٌ ما يتحرك تحتي، لا أنكر وقتها أنّ الفزع قد دبَّ في شرايين قلبي الذي تسارعت نبضاته، وأصبحت تنافس سرعة أنفاسي التي بدأت تصعد وتقفز من أعلى صدري. وجّهت ضوء هاتفي نحو قدمي؛ لأتفاجأ بوجود ذلك المخلوق الذي لم أتوقع أن أراه في هذا المكان إطلاقاً.

قفزتُ ملسوعاً كأنَّ جمراً تحت قدمي، والخوف تفشّى في داخلي، لأسقط على ظهري، مراقباً ذلك الشيء المرعب. وبسبب الظلام لم أعد أراه بعد سقوط هاتفي من يدي، ثم مددت يدي ناحيته، ووجهت ضوءه مرة أخرى إلى المكان الذي قفزتُ منه، لأجد ذلك الثعبان الضخم ذا اللون الأسود يلوحُ من أعلى رأسه قرنان، وبينها فصٌّ أخضر لامع معين الشكل.. كانَ واقفاً مكانه وهو رافعٌ رأسه ينظر إليّ بنظرات حادة. ابتلعتُ ريقي الذي جفَّ من الخوف، بينما ضوء هاتفي ما يزال مسلطاً على ذلك الشيء الذي لم أرَ مثله من قبل. كنتُ وقتها محتفزاً لأيّ حركة هجومية منه. مرت ثوانٍ وما يزال ذلك المخلوق ينظر إليّ، حتى بدأ يتصرف بطريقة غريبة: بدأ يتمايل برأسه يميناً وشمالاً، ولا أعلم لماذا لا يقوم بالهجوم عليّ؟

وقفت ببطء وبهدوء شديدين حتى لا أثير ذلك الثعبان، الذي ما يزال يحرك رأسه بتمايل، وعيني لم تفارقه لحظة، وهو أيضاً ما يزال يحدق بي بتلك النظرات المخيفة. مرت دقيقة، ثم توقف عن تحريك رأسه، ثم قام بالالتفاف إلى الناحية الأخرى ليظهر أمامي ذيله الذي بدأ يتحرك سريعاً مثيراً موجة صغيرة من الغبار، ثم سار بحركة بطيئة، وأنا ما أزال واقفاً أنظر إلى تلك التصرفات الغريبة!... ليقف، ثم يلتفت ناحيتي، وكأنّه يريدني أن أتبعه. سرتُ خلفه وهو يزحف ببطء، وأنا مركّزٌ ضوئي عليه، لنبتعد قليلاً عن المكان ونحن نتخطى القبور، وحالة الاضطراب تسري في كل خلاياي. وبعد مسافة ليست ببعيدة، توقفَ الثعبان فجأة، ثم استدار تجاهي، وراح يحرك رأسه بنفس الطريقة السابقة.

لم أكن أعلم ما الذي يريده ذلك الكائن؟، عدا أنّه أثار فضولي بتلك الحركات التي يقوم بها لأسير خلفه وأتبعه، ليتوقف عند ضريح مختلف تماماً عن باقي

الأضرحة، ويتحرك بسرعة كبيرة ويبدأ يدور حول ذلك القبر. استمرَّ في الدوران لفترة قصيرة من الزمن، ثم انتصب وسلّطَ تلك النظرات المرعبة صوبي، ليُنزل رأسه على الأرض بجانب ذلك الضريح، وكأنّه يريد الغوص داخل الأرض. وبالفعل بدأ بالحفر، وماهي إلا ثوانٍ حتى اختفى من أمامي تاركاً خلفه جحراً قد غاب فيه.

أثارت ذهولي تلك التصرفات، فأنا لا أعلم إلى أين ذهب؟، تكرر ذلك الهمس في رأسي، وهو يقول:

- انتظر لا تبرح مكانك، الحارس القديم سيعود..

أدركتُ أنّ الهمس ما هو الا تنبيه لي، وفهمت أيضاً أنّ المقصود بحارس المقبرة القديم الذي أخبرني عنه زهران لم يكن سوى ذلك الثعبان الذي ظهر لي عند دخولي المقبرة. والسؤال هنا: ماذا يفعل بداخل ذلك الجحر؟. كنتُ وقتها قلقاً جداً ومتوتراً، لا أدري ما الذي أفعلهُ؟، ليثور غبار من مكان آخر مثل الذي حدث سابقاً، لأقترب من تلك الموجة المثارة، وأشاهد رأسه الذي يتلامع منه ذلك الفص الأخضر وهو يشق الأرض مكوّناً حفرة أخرى في مكان آخر غير الذي دخل منه. وفي هذه المرة كان يحمل في فمه شيئاً غريب الشكل، ليخرج بكامل جسده، ومن ثمّ بدأ يكرر تلك الحركات مرة أخرى. رمى ذلك الشيء أمامي، وكان عبارة عن كيس وكأنّه مصنوع من جلد حيوان ما، ثم رفع رأسه مرة أخرى، وراح يحدق بي بتلك النظرات الحادة.

بدأت أتفحص ذلك الكيس، حينها قام الثعبان بمد رأسه دافعاً ذلك الكيس ناحيتي، وابتعد عنه قليلاً. الذي فهمته من ذلك أنّ الثعبان يريد مني أخذ ذلك الشيء الغريب. وبالفعل أخذته لأتذكر كلام فيصل عن الشيء المسحور الذي قام بدفنهِ في المقبرة عند أحد الأضرحة القديمة. بعد ذلك بدأ الثعبان ينسحب من المكان ببطء شديد، واتّجه ناحية الحفرة التي دخل فيها أول مرة، وغاب عن نظري.

عمَّ السكون والعتمة المكان من جديد، لم يكن يتوفر أي ضوء إلا من هاتفي المحمول، ليعود مرة أخرى ذلك الهمس في أذني، وهو يحثني على فتح الشيء المسحور. وبينما كنت أنظر إلى الكيس، سمعتُ صوتاً قريباً مني جداً، لأقفزَ من مكاني موجهاً نظري ناحيته، لأجد زهران يقف أمامي، وهو يقول:

- حاول أن تهدأ قليلاً.. المطلوب منك التركيز قبل فتح ذلك الكيس.

قلت له وأنا أحاول التماسك:

- ما الذي تريدني أن أفعله به؟

أجابني وهو يقترب مني:

- افتحه وأخرجْ الذي بداخله، ثم بعد ذلك ردّد ما سأقوله لك.

أحسست بشيء يمسك بيدي من الناحية الأخرى، جذبني بقوة كبيرة لأصطدم بإحدى شواهد القبور وأقع أرضاً وأتلوّى من شدة الألم. رفعت رأسي لأجد أمامي جميلة وهي تقف بهيئتها المفزعة، وتحدق بي بكل غضب، وما يزال الشيء الغريب بيدي. اتجهتْ صوبي محاولة أخذهُ مني، سمعت صوت زهران وهو يقول:

- إيّاك أن تفلته من يدك.

مرت ثوانٍ بسيطة قبل أن تنقضَّ عليّ جميلة بكامل جسدها، وراحت تحاول أخذ الكيس من يدي، فيما أنا قد شددتُ قبضتي عليه بكل قوة، وأثناء ذلك الصراع سقطتُّ على الأرض، ليسقط بذلك هاتفي وسكيني.قال لي زهران مرة أخرى:

- ركّز النظر في عينيها، فالذي بداخلها لن يستطيع مقاومة ما بداخلك.

نفّذت ما طلبه مني زهران، لأجد جميلة تحاول عدم النظر إلى عيني، إنّها في حالة ارتباك كبير، لأسيطرَ بذلك على الموقف، وأدفعها بكل قوتي، لتقع على إحدى الشواهد القريبة. عاد زهران يقول لي:

- افتحه بسرعة، ستعود مجدداً.

هممت بفتح الكيس الذي كان محكم الإغلاق بسرعة وبيد مرتعشة، شعرت بذلك الألم الشديد ناحية فخذي، عندما رأيت جميلة وهي تغرس السكين التي وقعت مني في فخذي. صرختُ من شدة الألم، ودفعتها بكل قوتي. والملعونة حاولت مرة أخرى الهجوم عليّ، وبعد محاولات حثيثة منّي، استطعتُ إبعادها عنّي، ليتدفّق الدم منّي بقوة. لا أنكر أنّ الجرح الذي أحدثته الطعنة كان جداً مؤلماً، كونها شكّلتْ جرحاً غائراً في جسدي.

صرخ زهران على غير عادته، وقال:

- قوّتك في عينيك.

تذكرتُ ذلك السلاح الذي يضعف ما بداخلها، وبدأت أنظر إليها بغضب شديد قاصداً ذلك، رغم أنّني لم أفعلها من قبل. وقفت جميلة وراحت تترنح بعدم اتزان، لأجد زهران يقف خلفها ويمسك بها بإحكام، وهي تحاول الإفلات منه، لأنتهزَ هذه الفرصة وأفتح كيس الشيء المسحور. وما أن انتهيتُ حتى تساقطت منه بعض الأشياء مثل عظام الحيوانات المهترئة، وقطع معدنية، وشعر معقود. سمعت صوت زهران وهو يقول:

- ردّد ما تسمعه:

ليتلفظ ببعض الكلمات الغريبة وغير المفهومة، وبعدد من آيات القرآن، والتي ردّدتُها بعده، بينما كانت جميلة تضعف تدرجياً، وبعدها انهارت بين يدي زهران، ثم سقطت على الأرض مغمىً عليها.

نظرتُ إلى يدي؛ فلم أجد أيّاً من الأشياء التي شاهدتُها داخل الكيس، لقد اختفت بشكل تام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

جلستُ على الأرض متعباً بسبب ما قمت به من أمور كانت مرهقة لأعصابي، أدركتُ حينها أنني لست الشخص الذي كنت عليه قبل الدخول إلى المقبرة، بعد أن وجهتُ نظري إلى عيني تلك المعتوهة، قال لي ذلك الضخم مجدداً:

- ستعتاد هذه الأمور، حاولْ التماسك، إنّها فقط البداية.. أمامك أعمال أصعب من ذلك.

لقد أتممتَ المهمة الأولى، المتمرد الذي يسكن في جسد جميلة فقدَ نصف قوته، المهمة القادمة ستقضي عليه. اذهب الآن إلى سيارتك، وبعد المكالمة التي تأتيك ستعرف إلى أين ستتوجه.

قمت من مكاني وأنا أعرج من الإصابة التي أحدثتها جميلة، والدماء ما تزال تنزف منها، متوجهاً ناحية سيارتي، وما أن جلست في داخلها، حتى أخذت نفساً عميقاً. استدرت إلى المقاعد الخلفية، لأجد شيئاً أفزعني كثيراً. كان جسد جميلة مرمياً وهي ما تزال في حالة الإغماء التي تركتُها عليها في المقبرة. استغربت وجودها!، وقلت: من الذي أتى بها إلى هنا بهذه السرعة؟

وحالة الفزع لم تنتهِ عندما رأيت زهران يجلس في المقعد الذي بجانبي فجأة، كأنّه ظهر من العدم، وهو يقول:

- لا تفزع. بعد المكالمة ستعرف أين تذهب.

رنَّ هاتفي المحمول لأرى رقم المتصل غير المعروف لديّ. أجبته لأجد ذلك الصوت وهو يقول:

- احضر الآن؛ الشيخ يلفظ أنفاسه.

لم أفهم ماذا يقصد المتصل بتلك الجملة!، ليقطع وصلة تفكيري تلك، ويعطيني العنوان وهو يردد نفس الجملة بحزم كبير. وأغلق الهاتف في وجهي. حاولت الاستفهام من زهران، لكنّه اختفى تماماً من مكانه.

انطلقتُ مسرعاً إلى ذلك العنوان، ولا أعلم لماذا أنفّذ ما أمرتُ به؟، إنّه شعور داخلي يحثّني على مواصلة هذه المهمة، فيما التعب بدأ ينال مني، وكنتُ أحاول التماسك، ولا أخفي عليكم.. كنتُ جداً متخوفاً من جميلة المغمى عليها في المقعد الخلفي، ومتحفزاً لأي تصرف ستقوم به في حال استيقاظها.

كانت الأفكار وقتها تأخذني إلى عتمة المجهول، والتساؤلات تنخر في عقلي: من هو ذلك الشيخ الذي يلفظ أنفاسه؟ وما علاقتي أنا به؟، وهل الذي في

داخل جميلة سينهض مجدداً ليقوم بجريمة أخرى؟. أفكارٌ كثيرة تعبث برأسي، وسيارتي تتّجه مسيرة ليست مخيّرة إلى ذلك المنزل الذي في منطقة الشامية.

وما أن وصلتُ إلى ذلك المكان، حتى رأيتُ نفسي أقف أمام أحد القصور التي بنيت في فترة الثمانينات غالباً. إنّهُ بيت من ثلاثة أدوار، أمامه حديقة فيها العديد من أشجار السدر التي أعطت المنزل منظراً مهيباً من الخارج، كأنّها تلوّح لي من بعيد.، لا أدري ما هي المهمة التي سأقوم بها في ذلك البيت؟.

ترجلتُ من السيارة وتوجهتُ إلى الباب الخارجي، وقبل أن أضغط على زر الجرس، سمعتُ صرير الباب الحديدي وهو يفتح، ورأيتُ خلفه ذلك الشاب النحيف ذا البشرة الحنطية صاحب اللحية الخفيفة، الذي قال لي بشكل مباشر، وكأنّه يعرفني منذ فترة طويلة:

- الأمر لا يتحمّل التأخير، الشيخ ينتظرك بفارغ الصبر.

تقدَّم أمامي وأنا أسير خلفه بخطوات بطيئة، أراقب كل شيء أمرُّ من خلاله. كانت الحديقة مليئة كما ذكرتُ لكم في السابق بعدد من الأشجار، أغلبها من السدر، تتوسطهم شجرة على ما يبدو أنّها شجرة توت، وعلى أحد أغصانها تقف بومة عوراء تنظر إليّ، وكأنها تقول لي: ما الذي أقحمتَ نفسك فيه؟

ورأيتُ بعضَ السيارات القديمة المركونة بإهمال في أحد أركان باحة المنزل، حتى وصلنا إلى ذلك الباب الكبير ودخلنا إلى البيت، والشيء الذي لفتَ انتباهي أنّ الشاب لم يهتم كثيراً للدماء التي غطّت جزءاً من ملابسي، إضافة إلى شكلي الخارجي الذي كان في حالة يرثى لها، بعد المعركة التي حصلت في المقبرة.

تسارعت خطوات الفتى، وزدتُ معها سرعة خطواتي، حتى توقفَ عند أحد الأبواب، ثم قال لي محذراً بوجهه العابس:

- لا تسأل كثيراً، فقط اسمعْ ما يقوله لك الشيخ.

دخل إلى غرفة كبيرة الحجم، كان جانبٌ منها عبارة عن مكتبة ضخمة امتدت أرففُها إلى السقف، وصفَّت عليها العديد من الكتب التي على ما يبدو أنّ بعضها كان قديماً وضخماً ذا أغلفة جلدية كأنّها أثرية، ناهيك عن الكتب الصغيرة والمتوسطة. وكان في الجانب الآخر من حائط الغرفة عددٌ من الصور الكثيرة، والتي هي الأخرى تنوّعت أحجامها، وعلى ما أعتقد أنّ بعضها كانت عائلية، وهناك عددٌ من البراويز التي كتبَ عليها عددٌ من الآيات القرآنية. كان في نهاية الغرفة سرير بسيط جداً، يتمدد عليه رجلٌ أسمر البشرة، غزا

رأسه الشيب. بجانبه عددٌ من الأجهزة الطبية، وما أن اقتربتُ لأرى ذلك الأنبوب الرفيع الذي كان قريباً من أنفه، حتى سمعت الشاب يقول له:

- أبي.. عدنان قد وصل.

التفتَ إليَّ ذلك الشيخ الكبير بحركة بطيئة، ثم قال لي بصوت متعب:

- هل أتممتَ المهمة الأولى لك؟

استدرتُ ناحية الشاب، وكنت وقتها غير مدركٍ ما الذي يريده الشيخ من سؤاله؟، وكل ما أريد أن أفهمهُ: ماذا يقصد؟ حتى أجيب. بادرني الشاب قبل أن أسأله وقال:

- يقصد: هل أبطلتَ سحر جميلة

قلتُ بصوت مرتبك:

- جميلة مغمىً عليها في السيارة.

فتح الشيخ عينيه بخوف، وقال:

- ما يزال لدى جشمان فرصة للعودة إلى قوّته.

نظر إلى الشاب وقال:

- اجلب جميلة في الحال يا شملان، حتى نقضي بشكل نهائي على ذلك المتمرد.

انطلقَ شملان مسرعاً ناحية الباب، وهو عازم على تنفيذ ما أمره به الشيخ.

كنتُ واقفاً تائهاً في هذا المكان، لا أعرفُ ما هو المطلوب مني؟، ليعود بعدها العجوز ويقول لي:

- انظر خلفكَ يا عدنان، إلى تلك الصور العديدة التي علقت على الحائط، هل تعرف منها أحداً؟

نظرتُ إلى الصور الكثيرة، وبدأت أتفحصها بعيني.. ومرت دقيقة كاملة وأنا أدقق نظري في الحائط. وقعتْ عيني على صورة كانت بالنسبة لي الصدمة الكبرى!، اقتربت أكثر منها حتى أتيقّن ممّا أراه. هل الصورة حقيقية؟ أم أنّها مجرد تشابه؟، إلا أنَّ ما رأته عيني كان حقيقياً، كانت عبارة عن فتاة يافعة تقف مبتسمة للكاميرا، متوسطة الطول، ممتلئة قليلاً، ذات نظرات هادئة. وبسبب أنَّ الصورة كانت باللونيْن الأبيض والأسود فلم أحدد لون بشرتها، وباعتقادي أنّها حنطية. خلفها أبواها على ما أظن، وبجانبهم عدد من الأشجار الكثيرة. عدتُ بنظري مرة أخرى إلى الشيخ، وقبل أن أتفوه بكلمة قال لي:

- صدّقْ ما تراه عينك يا عدنان، الصورة تلك هي حقيقية، إنها أمك جليلة.

قلت لهُ مستفسراً:

- لماذا صورة والدتي موجودة ما بين صورك؟، ولماذا تعلقها كأنّها أحدٌ من أفراد عائلتك؟

أجابني بصوته الواهن:

- إنّها ابنتي البكر جليلة.

أصابتني الدهشة!، وبداخلي رحتُ أردد: أأنتَ والد أمي؟.ثم قلت بصوت مرتفع:

- إذن، أنت جدي.

ردّ علي قائلاً:

- بالفعل أنا جدّك عزام، الجدّ الذي ترك العائلة منذ زمن طويل، جليلة هي ابنتي الوحيدة من زوجتي الأولى حليمة.

أصابني الذهول مما أسمع!، كل الذي أعرفه عن جدي أنّه ترك العائلة منذ فترة طويلة، بعد أن طلّق جدتي، ووالدتي لم تخبرني الكثير عن جدي، وكل الذي أعرفه أنّه ميت، وأغلب ما تقولهُ لي أنني أشبهه في العديد من الصفات.

مدَّ جدي يده ناحيتي، وقال:

- بالفعل يا بنيّ، أمّك لم تخطئ بشيء، أنتَ تشبهني في العديد من الأشياء، لعلّ أبرزها ما بداخلك من صفات يخاف منها الكثيرون من الناس، إلا أنَّ هذه الصفات ما تزال خاملة نائمة في أعماقك، ولا تعرف كيفية التعامل معها أو التصرف بها.

أمسكتُ بيده وقلت:

- كل الأحداث التي حصلت في اليومين الفائتين لم تكن بالصدفة!

هزّ جدي رأسه، وقال:

- لم تكن صدفة أبداً. كل شيء حصل بتدبير، حتى نبيّن لك أنّك تملك صفات مميزة، ولديك قدرات تفوق العادة. إنك الوريث، الذي يحمل صفات بعضٍ من أجدادنا القدامى، والتي نتوارثها من جيل إلى جيل، وتقع هذه الصفاتً في شخص واحد أو شخصين، وفي هذا الوقت انحصرت كل هذه المميزات بك أنت.

قلت له:

- مَن الذي كان قبلي يحمل هذه الصفات؟

قال الجد:

- كانت هذه الميزة متوفرة بي وبوالدتك.

أصابتني الدهشة والذهول! وقلت:

- والدتي؟؟!!

قالَ لي:

- نعم والدتك، لكنّها لم تقبل أن تقوم بالمهمات المطلوبة منها، وعارضتني بعد أن كنت أجهّزها لهذا كله، وجدّتك كانت رافضة لما أفعل منذ البداية، ولم تقبل بتوريث أمك هذه الملَكة.

قلت له:

- ما سر ابتعادك عن العائلة كل هذه الفترة؟

قال بتعب:

- فعلاً ما قلته صحيح، هذا حصل منذ أكثر من أربعينَ عاماً، عندما كنت أعدُّ والدتك لممارسة تقاليدنا في التعامل مع العالم الآخر، إلا أنّها رفضت تلك التعاليم، ونشأت مشكلة كبيرة بيني وبين جدتك، وبسبب ذلك قمت بتطليقها. كنتَ أنت ما تزال في السنة الثانية من عمرك حينها، لأغضبَ على جدتك ووالدتك، وقلتُ لأمّك أنّها لن تنعم بزواجها، ولن تتزوج بعد أن تتطلق من أبيك، وستعيش وحيدة معزولة عن الناس. وماتت جدتك بسبب المرض الذي ألمّ بها، لأعيش بعيداً عنكم أنا وزوجتي، والتي أنجبتُ منها ولداً واحداً هو الذي يرافقك منذ أن وصلتَ إلى هنا، خالك شملان الذي يصغرك بعشرينَ عاماً.

وأعتقد أنّ أمك تذكر جيداً جملتي قبل الرحيل، عندما قلت لها: لن تهربي من هذا المصير، سيعود القدر مرة أخرى، ولن يخرج من سلالتك.

أردفتُ مستفسراً:

- هل تقصدني أنا بجملتك الأخيرة؟.

ردّ عليّ الجد:

- نعم هذا ما أقصده، لأنك سترثُ منها كل ما ورثته مني من كرامات.

قاطعته مرة أخرى، وقلتُ:

- ماذا تقصد بالكرامات؟

أجابني قائلاً:

- من صفاتنا الأساسية التي نورّثها لبعضنا بعضاً، أعيننا مميزة، وذات نظرات حادة وعميقة. حضورنا أخّاذ، ووجوهنا مألوفة للجميع. هالة قوية تحيط بنا، نميل بشكل دائم إلى تلاوة القرآن والأذكار، وكراماتنا متمثلة في قدرتنا على التعامل مع العالم الآخر، وهيبتنا التي نفرضها على مخلوقاته.. يخشانا السحرة والدجّالون، ونميزهم عن باقي البشر. نمتاز بقدرتنا على فك السحر الصعب والأمراض المتعلقة به، هذه بعضٌ من ميزاتنا، والباقي ستعرفه لاحقاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

دخل بهذه الأثناء شملان حاملاً جميلة، التي كانت مغمىً عليها، وهو يردد تلك الكلمات التي لم أفهم بعضها، ويختتمها بجملة: لا يفلح كيد ساحر.

حاول الجدّ النهوض من السرير، ولم يستطع بسبب المرض الذي استفحل في جسده، ثم قال بشكل مباشر:

- دعْها هنا، واذهب مع عدنان، وعلمه كيف يقضي على ما تبقى من قوة جشمان.

وضع شملان جميلة على إحدى الكراسي الموجودة في الغرفة، واتّجه ناحيتي وعيناه ممتلئتان بالبغض، ساحباً يدي بقوة، وانطلق بي خارج المنزل، حتى وصلنا إلى الحديقة، ومدّ يده ناحية أحد أغصان شجرة السدر، وقام بتقطيع كمية وافرة من أوراقها،وبدأ بوضعها في إناء نحاسي كبير نسبياً، وأخرجَ قطعة حديدية أخرى مخصصة للدق، وقام بسحق تلك الأوراق وهي داخل ذلك الإناء، حتى امتزجت الأوراق بعضها ببعضٍ، وأخرجت عصارة خضراء كثيفة.

مدّ شملان يده داخل الإناء، ثم أخرج ما بداخله، وقام بوضع العصارة في قارورة بجانبه، ثم ملأها بقليل من الماء، وقام برجّها كثيراً، حتى أصبح لونها أخضر باهتاً، ونظر إليّ وقال:

- ردّد بعدي تلك الجمل التي سأمليها عليك، حتى يكتمل الطقس، لن يتم الأمر إلا بصوتك.

بدأتُ أردد كلمات شملان الغريبة، ورأس القارورة قريبٌ من فمي لعدة مرات، حتى شعرت بذبذبات المزيج بشكل واضح. وبعد ذلك توقفنا عن التمتمة.. شدني شملان بقوة مرة أخرى، وأخذني إلى الغرفة التي ترقد فيها جميلة والجد، وما أن وصلنا حتى رأيت مشهداً مهولاً جمّد الدماء في عروقي.

رأيتُ مخلوقاً غريباً لم أره في حياتي، بشعَ المنظر، ضخمَ الهيئة، ذا بشرة تميل إلى اللون الرمادي الداكن، وعيناه مسحوبتان إلى الأعلى بشكل ملفت، لونهما أصفر يميل إلى الاحمرار، وعلى جسده العديد من التقرحات البارزة، وكأنّها جروح. ولهُ قرنان كبيران بارزان من أعلى رأسه. كانت الغرفة باردة على عكس ما كانت عليه سابقاً ومليئة برائحة كبريتية مقيتة، كان ذلك الشيء البشع قابضاً يديه على رقبة جدي محاولاً قتله، وما أن رأى شملان ذلك المنظر، حتى قال لي:

- رشَّ ما في القارورة على جسد ذاك الملعون، وردد تلك الكلمات التي تمتمتَها قبل قليل، حتى لا يُقتل أبي.

كنتُ وقتها مرتبكاً وخائفاً جداً، أعاد شملان جملته عليّ مرة أخرى بصورة عاجلة، ودفعني بقوة باتجاه ذلك المخلوق، لأقترب منه كثيراً. رمقني بتلكما العينين البارزتين والهيئة البشعة. وما أن وقعت عيني بعينه حتى علمتُ أنّه يتحاشى النظر إليّ بشكل مباشر. أشاح بوجهه عنّي، وبدأ يتمتم بكلمات غير مفهومة.

ونبّهني شملان وقال:

- لا تركز على ما يقول، افعل ما آمرك به، ورشَّ ما بداخل القارورة على جسده.

فتحتها بيديّ المرتعشتين، وهممت برش ما بداخلها عليه، ليصرخ ذلك الملعون بصوت عالٍ هزّ المكان، وكأنّه يريد إخافتي. استجمعتُ شجاعتي ورددتُ تلك الكلمات التي حفظتها قبل قليل، لأرى بعد ذلك مشهداً أغرب من سابقه! عندما بدأ جشمان يتلوى من الألم كأنّي قذفتُ النار عليه، ليسقط على الأرض وتلك التقرحات تكبر على أرجاء جسده، وهو يصيح بكل شدة قائلاً:

- لن ترتاح أيُّها الوريث، لقد فتحتَ البوابة التي أغلقت منذ سنين.

لم أكترث لما يقول، بسبب حالة التوتر التي أصابتني جراء ذلك المنظر، بعد أن سقط جشمان على الأرض مشتعلاً بلهب أزرق أصدرَ غيمة كثيفة من الدخان ملأت المكان. وخلال ثوانٍ قليلة تلاشى ذلك الشيء مخلفاً بعده بقعة سوداء لزجة تكونت على الأرض. ارتميتُ على إحدى الكراسي ألهثُ من شدة التعب، وأنفاسي تتلاحق، كأنّي للتو قد انتهيت من مصارعة أحد الضواري.

ركض شملان متفقداً جدي ليتأكد من سلامته، حينما كنت أنا خلفه أحاول استرجاع أنفاسي وفي حالة من الذهول، لأسمعَ صوت جدي وهو يقول:

- أنجزتَ المهمة، وتمّ تنصيب الوريث، انتهى دوري الآن.

انتهى من جملته ليلفظ أنفاسه الأخيرة، وتعمّ المكان حالة من الهدوء قطعها بكاء وعويل شملان على موت والده. استمرَّ هذا الوضع لدقائق معدودة، وأثناء ذلك سمعت صوت جميلة التي كانت على يميني وهي تردد:

- أين أنا؟، ولماذا أنا موجودة في هذا المكان؟

قلتُ لها وأنا أحاول ترتيب نفسي من الداخل:

- ألا تتذكرين أيَّ شيء ممَّا حصل في الساعات الماضية؟.

قالت وهي في حالة صدمة:

- كل الذي أذكره أنني كنت نائمة في دورة المياه الخاصة بغرفتك.

قاطع شملان حديثنا، وهو يمسح ما تبقّى من دموعه وقال:

- لن تتذكر شيئاً، دعها، إنّها في حالة الاستشفاء الروحي من تسلط جشمان.

أردفت جميلة قائلة:

- ما الذي تقصده بأنني لن أتذكر شيئاً؟ وما الذي حصل طوال الفترة الماضية؟

قال لها شملان بصوت هادئ:

- ستعرفين كل شيء لاحقاً، والقصة التي حدثت في الأيام الماضية لن يدركها عقلك الآن.

ليمسك بيدها ويأخذها تاركيْن الغرفة، فيما كانت جميلة تتلفت في كلّ اتجاه متفحصة المكان كأنّها تائهة، لا تدري ما الذي جرى بالضبط!.

كنتُ أقف في الغرفة، أنظر إلى جسد جدي على السرير، علمتُ أنّ هناك حالة من الترابط الروحي بيني وبينه، عينان لا تريدان التوقف عن النظر إليه،حتى انتابني شعور بهالة غريبة انسلت إلى داخلي، كأنّ روحاً جديدة سكنتني، محدثةً قشعريرة بجسدي، فيما كانت أصوت همهمة غير معروفة المصدر تحوم حولي. أغمضتُ عيني بعدها، ليتملكني ذلك الصفاء الروحي الذي لملمَ شتات نفسي.

بينما ما تزال تلك الرائحة الكريهة منتشرة في الغرفة إثر تلاشي جشمان.

سمعت صوتاً أعرفه جيداً، لم يفارقني طوال تلك الأحداث، صوت زهران.

رفعت رأسي لأراهُ يقف بتلك الهيبة والزهوّ، بذلك الجسد الضخم، والعينين الحادتين، بهيئته العربية القديمة، وخلفهُ عدد من المخلوقات التي تباينت أشكالها، تقفُ بالطريقة نفسها. لم يصبني الخوف الذي ينتابني عندما كنتُ أراه في المرات السابقة، بل على العكس تماماً، هذه المرة كنتُ أشعر باطمئنان كبير، لم أحسّ به من قبل.

الهمس الذي رافقني طوال تلك المشاكل ما زال يتردد في ذهني، وهو يقول: مَن معي هم أعوانك، هم سندك، هم الذين تجدهم خلفك، هم الذين تحت إمرتك متى طلبت، هم أمانك واطمئنانك، فقط تعلّم كيف تتعامل معنا،و كل ذلك موجود في عقلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

16

كان شملان ينتظرني في الخارج، بعد انتهاء تلك الليلة الغريبة، وجميلة تجلس في المقعد الخلفي من المركبة، تائهة تماماً، وعيناها زائغتان تطرحانِ العديد من الأسئلة قبل لسانها. قال لي شملان:

- سلّم جميلة إلى الشرطة، حتى تبعد نفسك عن الشبهات. واذكر لهم ما يهمسُ في عقلك.

حتى هذه اللحظة، لم أفهم تلك الطلاسم التي تستقر ما بين السطور من حولي طوال الفترة الماضية، وكل ما أدركتهُ، أنّ الهمس الذي يراودني خلال هذه الرحلة هو ما يجعلني أتحدث بالطريقة المثلى التي ستُخرجني من هذا كله.

انطلقتُ بسيارتي مسرعاً، وخلال الطريق اتصلتُ بضابط الشرطة الذي كان يتواصل معي خلال الفترة الماضية، ويطلب مني التعاون معه، وعدم التستر على أي شيء. وقلت له أنّ جميلة معي، ولن تتصوروا كم كانت فرحته كبيرة!، وطلبَ مني الحضور إلى النيابة العامة حالاً من أجل القبض عليها، واستكمال التحقيقات.

كنتُ أعلم أنّ إجراءات النيابة لن تنتهي بسهولة، لكنّ ما همس في عقلي جعلني أجيب على جميع الأسئلة في التحقيق بكل ثقة ويسر، أفنّد الأكاذيب من دون أي تردد. استمرت التحقيقات لمدة يومين، وطبعاً بعد هذه الفترة استطعتُ أن أخرج من دائرة الاتهام، وأقنعتُ الشرطة التي يبدو أنّها تعاطفت معي ببراءتي، وتأكدوا أنني أقحِمتُ في كلّ تلك الأحداث بمحض الصدفة، وأن لا شيء يربطني بجميلة. والذي أزعجني وفاجأني وأغاظني كثيراً، وفجّر في داخلي العديد من الأسئلة، أنَّ كل هذه النوائب كانت لعبة من مجموعة الألاعيب التي وقعت بها، أم أنّ الأمر كانَ صدفة؟

لم ينجُ فيصل من جميلة، وكان الضحية الثانية لها، غشيني غضبٌ شديد، بسبب ما حلّ به، خاصة أنّ الشرطة عندما وصلت إلى المكان، وجدت أنّ جثة فيصل كانت ممزقة كثيراً، والدماء كانت في كلّ مكان، وقد رسمَ على الحوائط العديد من النجوم الخماسية الكبيرة، حتى إنَّ بعض أفراد الشرطة لم يستطيعوا التماسك، وأغميَ على بعضهم من بشاعة المنظر. السؤال الذي حيّرني: لماذا زهران لم ينقذ فيصلاً؟ لماذا جعلني أذهب

و وعدني بأنّ الأمور ستسير على ما يرام؟. هل كانت قدرة جميلة أو ما بداخلها أكبر من قدرته؟ أسئلة كثيرة تدور في رأسي لم أجد لها حلاً، وكل ما أشعر به هو أنّه قد استُخفَّ بي، وأنّهم استطاعوا الكذب عليّ.

وصلت إلى بيتي لأجد والدتي تستقبلني وعلى غير عادتها، وكانت تنظر إليّ بتلكما العينين اللتيْن امتلأتا بالتعاطف الكبير، ثم وضعت يديها في يديّ، وقالت لي بحنان دافئ لم أعهده منها من قبل:

- لن أقف في طريقك هذه المرة كما فعلتُ في السابق، ولن أتدخل بحياتك الجديدة، يبدو أنّ القدر كان يطاردني طوال الوقت الماضي، واستطاع القبض عليَّ من خلالك، وتأكّد يا عدنان أنّك ستجدني أول من يقف إلى جانبك في حال طلبت ذلك.

كنتُ أعرف أنّها تعلم من أنا؟ وما هي الكرامات التي أحملها في داخلي، وقلت:

- لقد مات جدّي عزام يا أمي.

أنزلت رأسها، وفرَّت الدموع من عينيها تؤكد معرفتها بموته، وقالت:

- الهامسون أخبروني بذلك.

احتضنتني، وراحت تبكي بحرقة وتقول:

- لم أحظَ بحنانه، هجرنا من دون تردد، كان لا يفكر إلا بتلك الأمور التي تعيش بداخله، كنت غير متأكدة مما يفعل، واليوم أيقنتُ أنّ ما يقوم به حقيقي، قالها لي، لن يتركني القدر، لم نكن نفهم شيئاً مما يفعله، وكنّا خائفين من تصرفاته. رحلَ دون أن يوضح، رحل بحزن أتعب الجميع.

ابتعدت والدتي والدموع لم تجف فوق خديها، وتوجهت مباشرة إلى غرفتها، حزنتُ كثيراً لما أصابها، وفضلتُ تأجيل النقاش في تلك الأشياء حتى تنتهي من حزنها، الأقدار لا تأتي بما نشتهي.

جلستُ في غرفتي أفكّر بما هو قادم، لا أنكر أنني كنت تائهاً بين أمرين متناقضين: الطمأنينة والقلق. قلبي يكاد أن ينشطر نصفين من ذلك الشعور المتعب، حتى تجسَّدَ مرة أخرى زهران أمامي بهيئته المعتادة وقال:

- لا تفكر كثيراً، كل شيء بات على ما يرام.

قاطعت كلامه، وقلت بغضب:

- لم تفِ بوعدك يا زهران، ولم تنقذ فيصلاً.

قال لي بهدوء كبير:

- بالتضحيات تُنجر المهمات.

كالعادة، لم أفهم تلك الجمل التي يرددها ذلك الضخم في كل مرة.. وقلت:

- ماذا تقصد يا زهران؟، عن أي تضحيات تتكلم؟.

أجابني:

- لم تشملنا جميعنا التضحيات، فقط تمّت التضحية بتلك الروح.

صمتُّ لثوانٍ، وقلت محاولاً استيعاب كلامه:

- ما دخل فيصل بتنصيبي؟

أجابني وقال:

- دفع ثمن أخطائه، هو من جلب جشمان، من خلال تماديه، والعبث بأمور لم يفهمها، وبالتأكيد هو الضحية.

قلتُ له بسخط:

- لم أقتنع بموت فيصل بتلك الطريقة، واضح أنكَ تركته لجميلة، حتى تكمل جريمتها بكل بشاعة.

قال زهران:

- لن تفهم هذه الأمور الآن، واذكرْ هذه الجملة جيداً، بالتضحيات تنجر المهمات.

عمّ الصمت المكان قليلاً، ثم قال زهران مرة أخرى:

- أعداؤك هم أقرب الناس إليك، لا تصدق ما تسمع، بل تأكّد بعينيك.

قلت له:

- ما الذي ترمي إليه يا زهران؟

قال لي:

- الأيام المقبلة سيعلو صيتك بين الناس، وستكون وجهة لحل مشاكلهم، سترتاح القلوب لك، ستنفك العقد على يديك، سيخافك الدجالون، وستزداد المهام. الشيخ عزام مهّد لك الدروب بشكل جيد، قبل يومين كنتَ في الدّجى، واليوم أنت في النور.

قلت له:

- يبدو أنني مقبل على أيام صعبة.

أجابني:

- لن تكون صعبة ونحن معك، الذي أعرفه أنّ حادثة جميلة باتت حديث الناس، والجميع بدؤوا يرون أنّك إنسان غير عادي، وتأكد أنّنا لن نتركك أبداً. وستجدنا جميعنا خلفك. ابحث عن نفسكَ جيداً، فإنّها تملك الإجابات على جميع الأسئلة.

كالعادة، لم أدرك ما يرمي إليه زهران، ليختفي فجأة كما ظهر فجأة.

في اليوم التالي، ذهبت إلى منزل جدي، وفور دخولي إلى غرفته، فاحت رائحة البخور. تفحصت المكان بشكل أدق من المرة الماضية، ووقعت عيناي على المكتبة الكبيرة الزاخرة بعدد ضخم من الكتب. في هذه اللحظة سمعتُ صوت باب الغرفة يفتح، لأرى شملان يدخل بهدوء، وعلى وجهه بانت علامات الحزن الممزوجة بالغضب، وقال بنبرة ساخطة:

- كيف حالك يا بن أختي؟

رددتُ عليه التحية بهدوء، رغم أنّ طريقة كلامه مستفزة، وتحمل في طياتها علامات الاستخفاف.

أكمل حديثه وقال:

- اسمعني جيداً، العلاقة الوحيدة التي تربطني بك هي وصية والدي، ومن واجبي الآن أن ابدأ بتعليمك.

تقدّم بعدها نحو الأرفف، وانتقى كتاباً وقال:

- ابدأ بهذا الكتاب.

تفحصته بشكل جيد، وكان عبارة عن كتاب قديم جداً، مصنوع من جلد مهترئ، وعلى غلافه رُسمت أشكال ورموز غريبة، ثم نظرتُ إلى شملان، الذي قال لي:

- البداية تكون من هنا.

ليتركني ويرحل بعدها.

جلست في أحد أركان الحجرة، وفتحت الكتاب على أول صفحة، وقمت بقراءة محتواه، وشعرت أنني لا أستطيع التوقف، وما أن وصلت إلى منتصفه حتى انتابتني موجة باردة اجتاحت الغرفة بالكامل، لتزداد معها رائحة البخور بشكل واضح، ليرتسم أمامي خيال رجلٍ، وبدأت معالمه تتضح شيئاً فشيئاً..إنّه طويل القامة، مفتول العضلات، ذو شعرٍ طويل، بشرته نوعاً ما بيضاء شاحبة، وعيناه خضراوان لامعتان. وقال بعد أن ألقى السلام عليّ بشكل مباشر:

- اسمي (مهاب)، مرشدكَ، وتابعٌ لك

أصابني الذهول ممّا سمعت، ليكمل حديثه:

- أنا الموكل بتعليمك كل أسرار العالم الآخر.

لم أجب عليه، لأنّني ما زلتُ أعيش حالة الصدمة، وأردفَ مهاب قائلاً:

- لن أنتظر منك أي إجابة، بعد أن تنتهي من الكتاب ستعرف كيف تتعامل معي، المهمات القادمة أكثر صعوبة، تحتاج منك العلم والحزم في وقت واحد، نحن الدواء الذي ستشفي به كل ممسوس، نحن حلّالو العقد، لا ننتظر من عملنا مقابلاً، ونهزم كل دجّال جاهل.

وما أن انتهى من جملته تلك، حتى تلاشى من أمامي.

عدتُ إلى منزلي حاملاً الكتاب معي، وما أن دخلت غرفتي حتى ظهر زهران أمامي مرة أخرى، قال:

- هناك من سيستنجد بك.

لغيبَ بسرعة مطلقة!

وبعد فترة من الوقت سمعت رنين الجرس، خرجتُ أريد معرفة مَن خلف الباب؟، لأجد رجلاً قالي بصوت متوتر:

- أأنت المدعو عدنان؟

هززتُ رأسي مؤكداً له ذلك

وما أن تأكّد من شخصيتي، حتى قال:

- استخدمتُ جميع الحلول معها، هناك من يؤذينا، يبدو أنّ والدتي استحضرت شيئاً من العالم الآخر.

أخذتُ نفساً عميقاً، ثم زفرت بقوة، وقلت لنفسي: ماذا تخبّئ لي الأيام القادمة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخاتمة

لا تبحث بعيداً، اقترب أكثر، كل ما تريده بداخلك، سعادتك قوّتك، أملك، إنهم يعيشون بك. من الممكن أنك لا تعرف؟، ولكن تيقّن أنّه إذا لم تفهم نفسكَ؛ فلن تستطيع التعامل معها. الحياة مجرد مسرح كبير يحركنا بخيوط الظروف والوقت، ويتلاعب بنا كخرقة صغيرة. يؤلمنا، يبكينا، يجرحنا، يُفقدنا الأمل. وما أن تشعر بكل ذلك، حتى تعرف أنَّ في داخلكَ طاقات وقوة تصنع منكَ شخصاً مختلفاً ذا بصيرة فذة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
الخاتمة
الفهرس..